الرسائل المفتوحة
لهيئة علماء المسلمين

قسم الثقافة والإعلام
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه من والاه وبعد:

فقد اعتادت هيئة علماء المسلمين أن تتوجه مباشرة إلى الشعب العراقي عامة أو بعضه خاصة في المناسبات المهمة والمفاصل الحساسة من تاريخ العراق في ظل الاحتلال؛ لتنبه وتدل، وترشد وتبين، وتدعو.. وتنصح.. وتناشد.. امتثالاً للواجب الشرعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستناداً إلى رؤيتها للواقع العراقي وضرورات المراحل التي تخاطب فيها العراقيين ومتطلبات التدخل المباشر لوضع النقاط على الحروف في العديد من القضايا والمواقف.

ورغبة في تعميم الفائدة قام قسم الثقافة والإعلام بجمع (**الرسائل المفتوحة**) التي وجهتها الهيئة إلى الشعب العراقي عامة وإلى أهلنا في بعض أجزائه خاصة وإلى بعض القوى السياسية داخلياً وخارجياً وإلى جهات أخرى؛ في هذا الإصدار الذي نسأل الله تعالى أن ينفع به، إنه على ما يشاء قدير.

قسم الثقافة والإعلام

صفر ١٤٢٩هـ - شباط ٢٠٠٨م

الرسالة الأولى:



رسالة مفتوحة

من هيئة علماء المسلمين

إلى الشعب العراقي

حول مسودة الدستور

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله سبحانه: ((أُذنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير)) (سورة الحج: ٣٩).

أيهـــا الشعب العراقي العظيم يا أبناءنا البررة من شمال العراق إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، نخاطـــبكم هـــذه المرة بواحاً لأننا نعتقد أن المسؤولية في هذه المرحلة تقع على عاتقكم.. لقد قاتل أبناؤكم الـــبررة في الشمال والوسط والجنوب قتالاً أذهل العالم ورفع رأس العراق عالياً.. وسيبقى هؤلاء جنوداً في هـــذه السبيل يقدمون أرواحهم ويجاهدون بدمائهم حتى يأذن الله بالنصر وتعود إليكم أرضكم وكرامتكم ولكن قتال هؤلاء الأوفياء من دون إسنادكم لن يجدي نفعاً، فليسو هم في المحصلة إلا جزءاً من كل، وما لم يلتـــئم بهذا الجزء أجزاؤه الأخرى فإن الدماء التي نزفت من الممكن أن تذهب سدى ويبقى المحتل جاثماً على صدوركم يذيقكم الذل والهوان.

إن العـــراق ملـــك جميع أبنائه سنة وشيعة عرباً وأكراداً وتركماناً ومسيحيين وصابئة ويزيديين وغيرهم وعلى هؤلاء جميعاً تقع مسؤولية الحفاظ عليه، كل بالقدر المتاح له وبالأسلوب القادر عليه، وإن الله سائلنا عن كل ذرة تراب نفرط بها من هذا الوطن.

يا أبناءنا الكرام:

لقـــد بـــات مكشوفاً أن الأمريكيين لم يأتوا من أجل إسقاط نظام استبدادي كان يحكمنا ليمنحونا الحرية؛ لأنهم مارسوا ضدنا كل ما مارسه ذلك النظام من ظلم وزادوا عليه، فالمقابر الجماعية فعلوا مثلها في الفلـــوجة والـــنجف والمنطقة الغربية من العراق، وزادوا على ذلك القتل العشوائي الذي لم نألفه من قبل، والـــسجون ملأوها من الصغار والكبار والنساء والرجال وزادوا على ذلك هتك أعراض الجنسين، وكانوا يتـــباهون بذلك ويسربون صور ظلمهم إلى العالم، والأسلحة الكيميائية استعملوها في الفلوجة وزادوا على ذلـــك الـــضرب بسلاح محرم آخر هو اليورانيوم المنضب الذي طالوا به مدناً عراقية عديدة ولاسيما المدن الجنوبية، والحريات قمعوها، ولقد عانت تظاهرات الفلوجة والموصل وتظاهرات التيار الصدري في النجف ومدينة الصدر منهم الأمرين.

إن الـــصغير والكـــبير يدرك اليوم أن هؤلاء الغزاة ما جاءوا ليمنحونا الحرية، بل جاءوا لاستعمار الـــبلاد وإذلال العباد، وإن تجربتنا معهم لأكثر من سنتين غنية بالشواهد المؤلمة، فلقد دمروا مؤسساتنا عن

آخرها وسرقوا آثارنا وخيراتنا وأهانوا مساجدنا وعتباتنا المقدسة ومزقوا مصاحفنا جهاراً نهاراً، فلا تنتظروا منهم خيراً قط.

أيها الغيارى:

إن هـؤلاء مصممون على البقاء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وهم اليوم يصرحون إنهم لن يرحلوا، بل إنَّ رئيسهم بوش قال قبل أيام إنه لن يرحل من العراق مادام على كرسي الرئاسة، لأن العراق على حد زعمه تدور فيه معركة مقدسة ضد الإرهاب، وهي ذريعة للبقاء، وإلا فمن قدم بالإرهاب إلى العراق سواه؛ لـذلك كل من يقول لكم: إن الأمريكيين سيخرجون حين يتحسن الوضع السياسي في البلاد فإنه يخدعكم ويكذب عليكم.

إن هؤلاء الذين عذبوا هذا الشعب وما رحموه دخلوا بالقوة ولن يخرجوا منه إلا بالقوة ونذكركم بتـصريحاتهم في الأيام الأولى من الاحتلال حينما قالوا جئنا لنبقى، بل إن أحدهم أراد أن يقتلنا اليأس فقال جئـنا لنبقى ستين سنة؛ لكننا نؤكد لكم أنهم سيخرجون فضربات أبنائكم البررة أطارت صوابهم وزلزلت أقدامهم، وكل مراقب للأحداث يتأكد له إن بوش يمر في أسوأ أيامه، وسيرحل هو وجنوده بإذن الله قبل أن يغادر كرسيه ما لم يفاجئه الأجل.

أيها الفضلاء:

لا ينبغي أن ننسى أن هذا العدو بذل جهده لإشعال حرب أهلية بيننا لا تبقي ولا تذر، فكلكم يذكر أنه في الوقت الذي قاموا فيه بحل كل مؤسسات الحماية الوطنية من جيش وشرطة ودفاع مدني عمدوا إلى فـتح مخازن السلاح – التي ظل النظام السابق لسنوات يملؤها بالسلاح الفتاك– أمام الناس، وحين تيقنوا أن الـسلاح بات بأيدي الجميع بدأوا بإثارة الفتن الطائفية والعرقية، ولولا فضل الله علينا، ثم وعيكم لاندلعت حرب تأكل الجميع وتحقق للمحتل كل أهدافه، ولكن الله اللطيف الخبير شاءت إرادته أن يطفئ نارهم وأن ينقلب مكرهم عليهم، فتوجه هذا السلاح إلى ظهور جنودهم جزاءً وفاقاً.

أيها الكرام:

لما يئس هؤلاء من زرع الفتنة لتحقيق أهدافهم وجوبهوا بمقاومة عنيفة لجأوا إلى العمليات السياسية كسبيل آخر للوصول إلى مبتغاهم في الهيمنة على البلاد، وقد انتدبوا إلى هذا العمل أشخاصاً يعرف القاصي والداني صلتهم الوثيقة بهذا العدو قبل الاحتلال فشكلوا على عجل ما سمي حينها بمجلس الحكم، ويوم أعلن عن هذا المجلس قلنا: إنه مشروع أمريكي ماكر لتمكين المحتل في الأرض، ولذا فإنه لن يحل مشكلة العراق، وعاتبنا كثيرون وقالوا إنكم تعجلتم في الحكم على مجلس الحكم، ولكننا بنينا موقفنا على خبرتنا أولاً بطبيعة عدونا وطبيعة مطامعه، وعلمنا ثانياً: أن جلّ الذين انتدبوا لهذا العمل من الساسة نشأوا بعيداً عن الوطن، وبعضهم ينتمي لغير هذا الوطن أصلاً كما أن الدول التي تدير الحرب هي من احتضنهم في الخارج وملأت جيوبهم بالأموال وأغرقتهم بالعطاء وبالتالي فإن هؤلاء لن يشعروا بحرقة على الوطن، ولن يتمكنوا في كل الأحوال من التمرد على القبضة الأمريكية، و لم نخطيء في تقديرنا فقد انشغل أعضاء هذا المجلس بالمكاسب والمحاصصات، وتركوا شعبنا يغرق في الواقع المتردي للأمن والخدمات والاقتصاد، وقد قام هؤلاء وبدفع المحتل بالتوقيع على قانون مؤقت كان بحق مؤامرة على الشعب العراقي، يعفي المحتل من أية مساءلة عما يرتكبه في حق شعبنا من قتل وجرائم، ويمهد لصيرورة العراق على نحو من التمزق والضعف يرضي فضول هذا المحتل ويحقق مآربه في المنطقة، وحين فشل هذا المشروع وامتلأ الشارع العراقي عليه غيضاً، لجأ المحتل إلى لون جديد من مكره عبر الإعلان عن حكومة مؤقتة أذاقت الشعب العراقي مرّ العذاب، وقلنا حينها: إن هذه المرحلة ستكون سيئة للغاية؛ لأننا رأينا الوجوه لم تتغير، فأعضاء هذه الحكومة هم أنفسهم كانوا في مجلس الحكم، ووقع ما حذرنا منه، ففي عهد هذه الحكومة دمرت مدن عراقية تدميراً وحشياً كالفلوجة والنجف، وبلغ الفساد الإداري ذروته، وازداد الواقع العراقي سوءاً؛ ثم لما أخفقت هذه الحكومة هي الأخرى لم ييأس المحتل وعمد هذه المرة إلى لعبة جديدة أكثر حذاقةً ومكراً، خدع فيها كثيراً من أبناء شعبنا وسرقت خلالها أصواتهم كما سرقت خيراتهم، وهي لعبة الانتخابات، فأعلن عن عملية انتخابية في ظل الاحتلال وأعوانه إشرافاً وإدارةً.

وحتى يضمن المحتل صعود من يريدهم اعتمد مبدأ الدائرة الانتخابية الواحدة، والقائمة الواحدة، ولأن كثيراً من أبناء شعبنا في حالة يرثى لها من الظلم فقد ظنّ أن من وعده بالخلاص صادقٌ، لكننا حذرنا شعبنا من هذه اللعبة ودعوناهم إلى مقاطعتها فاستجاب لنا أكثر من نصف الناخبين وأخذ بخيار الانتخاب آخرون ظناً منهم أن الانتخابات هي الحل الأمثل، وكانت أسوأ انتخابات يشهدها العالم، وجه إليها أكثر من خمسمائة مطعن، وقد بات هذا معروفاً لا نحتاج إلى الحديث عنه لكن الذي حصل أن الوجوه التي وصلت إلى سدة الحكم هي نفسها في مجلس الحكم وهي نفسها في الحكومة المنتخبة جزئياً ،كانت ـــ كما

يقول المثل ــ تخرج من الباب لتعود من الشباك وبمعونة أمريكية واضحة البصمات، ولذا كان من الطبيعي أن تفشل هذه العملية الانتخابية وتزيد من مأساة الشعب العراقي لأن الوجوه نفسها المسؤولة عن الفشل الأول كانت تتكرر في كل مشروع بمباركة أمريكية.

أيها الفضلاء:

إن إدارة الاحتلال في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العراق انتدبت هؤلاء الأشخاص أنفسهم ليمرروا عليكم دستورا دائماً تحت إشراف مباشر من سفيرها المعروف بتخصصه في تمزيق البلاد الإسلامية، وتحقيق المكاسب الكبيرة لدولته على حساب الشعوب، وعلى الرغم من أن العراق قد خرج لتوه من نظام استبدادي لا يعرف سوى حكم الرجل الواحد والحزب الواحد، وابتلي بعده باحتلال أكثر استبداداً وظلماً وبالتالي فإنه يحتاج إلى وقت ليس بالقصير تجتمع فيه أطيافه بحرية وإرادة كاملة وتمثيل حقيقي للشعب العراقي ليسن لنفسه عبر الحوار الهادئ والبنّاء دستوراً عادلاً يضمن للجميع حقوقهم، فإن الاحتلال فرض على هذه القوى المتكررة في كل عملية سياسية إنجاز هذا الدستور في ظرف شهرين وتناس الاحتلال أن دستوره في الولايات المتحدة الأمريكية استغرق سنوات، ومثلما توقعنا فإن هذه القوى لم يكن بمقدورها مخالفة السيد الأمريكي، و لم تشأ أن تبدي أي اعتراض يثير حفيظته فامتثلت صاغرة وتجاهلت مصلحة ٢٧ مليون عراقي وأنجزت في ظرف يزيد على الشهرين ببضعة أيام دستوراً هشاً مليئاً بالثغرات والألغام المعدة للانفجار في أية لحظة.

وعلى الرغم من غياب أكثر من ستة ملايين ــ على حد زعمه ــ عن هذه العملية الدستورية، فإن ديمقراطيتهم لم تمنع من إنجاز مسودة دستور دائم ما دام السيد الأمريكي أمر بذلك، وإن كنا نعتقد أن الشعب العراقي كله مغيب عن هذه العملية.

وإذا كنا من قبل قد أطلقنا على قانون إدارة الدولة المؤقت: (قانون المؤامرة) فثقوا أن المسودة الحالية هي أسوأ وثيقة يشهدها عالمنا الإسلامي، ويصح فيها الوصف: أنها (دستور المؤامرة الكبرى) لأنها تمهد لتقسيم البلاد وتبديد ثرواته وتحويل العراق إلى بلد ضعيف تأكله الانقسامات تماماً كما فعلوا من قبل مع لبنان الشقيق الذي مازال يعاني من هذه المؤامرة.

أيها الكرام:

إذا مرر هذا الدستور، وأجريت من ثم الانتخابات فإن هؤلاء الأشخاص أنفسهم سيطلون عليكم مرة أخرى، عبر انتخابات السنوات الأربع وستكونون أمام طور جديد من الأزمات والاستغلال وضياع حقوقكم وهدر ثرواتكم... لقد أنفق على العراق خلال السنتين الماضيتين أكثر من عشرين مليار دولار، وكان هؤلاء في مراكز الحكم، و لم يعرف حتى هذه اللحظة أين ذهبت الأموال ولا كهرباء ولا ماء ولا حياة كريمة، كل ما يعرف بهذا الصدد أن ثلث هذه الأموال أنفقت على هؤلاء الأشخاص لتوفير الأمن لهم مع أنه لا يخرجون من المنطقة الخضراء إلا نادراً.!!

أيها الأفاضل:

إن بقاء هؤلاء على سدة الحكم يعني أن الاحتلال سيبقى أيضاً لأن هؤلاء لن يجرؤا على طلب مغادرته، بل ربما يطلبون بقاءه كما فعلت هذه الحكومة، ومع بقاء الاحتلال لا راحة للوطن ولا للمواطن لأن المقاومة ستبقى مشتعلة ولأن هذا حق طبيعي فطري، ولا أحد يمكنه إيقافها مع وجود الاحتلال، كما أن من الخطأ القاتل فعل ذلك، إذ لولا المقاومة لكنا اليوم أسوأ مما نحن عليه من السوء بكثير، كما أن الإرهاب سيبقى فاعلاً على الأرض لأنه أولاً وآخراً صنيعة الاحتلال ظهر مع ظهوره ويزول بزواله.

يا أبناء شعبنا العظيم :

إن الساعة قد حانت بعد هذا البيان لتقفوا موقفكم، وأنتم أهل التاريخ الناصع بالمواقف المشرفة، لقد قاومتم المحتل بصبركم وسطرتم بذلك مواقف جليلة القدر وأنتم اليوم مدعوون لتقفوا وقفة أخرى تنقذوا بلادكم من المخطط المعد لدفعه إلى هوة الخلاف والتمزق عبر دستور المؤامرة الكبرى.

ونحن بعد أن نطالب المخلصين من رجال السياسة والقانون على العمل لكشف البلايا العظام التي تضمنها هذا الدستور نناشدكم بما هو آت:

أولاً: مطالبتكم للجمعية الوطنية ولاسيما من انتخبها بحل نفسها بعد أن تجاوزت وضعها القانوني وحجمها الطبيعي ومررت دستوراً خطيراً من غير مشاورة الشعب العراقي بكل أطيافه، وإلا فإنها تتحمل المسؤولية القانونية والتاريخية عن كل ما سينجم عن هذه العملية المشبوهة من تداعيات لا يحمد عقباها.

ثانـــياً: الإعـــلان عن رفض دستور المؤامرة الكبرى عبر التظاهرات والبيانات والاعتصامات وأية وسائل مشروعة يراها شعبنا مجدية في إسقاط هذا الدستور.

ثالـــثاً: إذا أردتم اعتماد خيار الاستفتاء فعليكم الحذر الحذر من خديعة العدو بالتضليل الإعلامي والتزوير لأن من سرق أصواتكم في الانتخابات الماضية قادر على أن يسرقها في الاستفتاء مع غياب الرقابة الدولية.

رابعاً: طالبوا القوات الأمريكية بجدولة انسحابها وتحويل الملف العراقي إلى الأمم المتحدة باعتبارها طـــرفاً محايداً ليس له مصلحة في التلاعب والتزوير، وتذكروا إن النصر قريب ونريد أن يحسب النصر لكل العـــراقيين، وينجز بمشاركة الجميع.. وفقكم الله لخدمة البلاد وقهر على أيديكم عدوه، ولا عدوان إلا على الظالمين.

الأمانـــة العـــامـــة

٤/شعبان/ ١٤٢٨هـــ

٢٠٠٥/٩/٨م

الرسالة الثانية:



رسالة مفتوحة

إلى الشعب العراقي

بمناسبة الذكرى الثالثة

للحرب على العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيا أبناء شعبنا الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تمرّ هذه الأيام الذكرى الثالثة للحرب الأنجلو أمريكية على بلدنا الحبيب، هذه الحرب التي ستبقى سُبَّةً وعاراً في تأريخ كلّ الدول التي شاركت فيها لما انطوت عليه من ظلم وعدوان وفضائح وانتهاكات فاقت بشرورها وآثامها ما جناه المغول في حقّ العالم الإسلامي من قبلُ، لكنّ هذه الحرب ذاتها ستبقى غُرَّة مضيئة في جبينكم يا أبناء العراق إذ لم ترضخوا لجبروتها، ولم تنحنِ هاماتكم لقضّها وقضيضها، بل هبّ أبناؤكم البررة وفلذّات أكبادكم يقابلون رصاص العدوّ بالصدور الممتلئة بالإيمان ويناطحون دباباتهم برؤوسهم التي لم تسجد لغير الرحمن حتى جعلت من جموعهم فلولاً مذعورة، ومن معدّاتهم وعتادهم حطاماً بائساً مخذولاً.

تذكّروا حقيقة قرآنية عظيمة، وهي أنّ الله يختصّ برحمته من يشاء، وما نرى إلا أنّ الله اختصّكم بهذه الرحمة؛ لأنكم بدفعكم هذا الطغيان، وتقليمكم مخالبه، وصبركم على أذاه من دون الخضوع له تساهمون إلى حدّ كبير في إزاحة ظلمه وظلامه عن العالم العربي والإسلامي والإنساني، وستسجّل لكم هذه العوالم كلّها هذا الموقف بأحرف من نور.

يا أبناء شعبنا الغيور رجالاً ونساءً.. شيباً وشباباً:

لقــد بذل أعداؤنا ما في وسعهم من حيلة ومكر وخُبث وخديعة لتقسيمنا شيَعاً وكانتونات وفق معــايير طائفية وعرقية في دعوى ظاهرها الحفاظ على حقوق الجميع، وحقيقتها التمكّن من السيطرة على الجميع لسلب ثروات الجميع وهدر قيم الجميع، وقد أخفقوا - بفضل الله - حتى هذه اللحظة فهذا الشعب – عــبر الــتأريخ – لم يكن يقبل القسمة، فالعراق بلد يختلف عن غيره، فإنه إذا كان يشابه بلداناً أخرى بتنوّع الأعراق والطوائف والأديان، فإنه يختلف عنها بنسيجه الفريد، وقدرته على التعايش والامتزاج، وليس هذا وليد العصر الحديث، بل له امتداد في عمق التأريخ، والواقع الذي عاشه العراقيون معاً فوق الانتماءات في الحقبة الأخيرة من الزمن ما هو إلا حلقة في سلسلة متصلة الحلقات.

في آخر إحصائية أعدّها مختصّون في علم الاجتماع العراقي شخّصوا أن نسبة ٢٦٪ من الزيجات العراقية متشابكة الأعراق والطوائف بمعنى أنّ هناك نساءً من الشيعة تزوّجن من عوائل سنية، والعكس كذلك، وأن هناك نساء كرديات تزوّجن من عوائل عربية، والعكس كذلك، ولذا تجد في المدينة الواحدة والحيّ الواحد مختلف الأعراق والطوائف والأديان، ولم تَرِد إلى أسماعنا يوماً شكوى جارٍ من جار؛ لأنه من الدين الفلاني أو الطائفة الفلانية أو العرق الفلاني. وبغداد اليوم فيها مئات الألوف من أعراق شتّى وطوائف شتّى وأديان شتّى فضلاً عن وجود شيء من هذا التنوّع في العشائر ذاتها.

أما الأرض التي يعيش عليها العراقيون فهي الأخرى لا تقبل التجزئة، فالثروات موزّعة في كلّ أنحاء العراق، فإذا كان النفط في الجنوب مثلاً فالماء في الوسط والشمال.. يمكن حبسه حتى يُبادَل برميلٌ من النفط ببرميلٍ من الماء، ويمكن أن ينفرط عقده فيغرق الجنوب كله، وإذا كان الشمال يملك الطبيعة الخلابة فلا قيمة لهذه الطبيعة ما لم تحظَ بأمن جيرانها، وتنفتح لها المسالك الحركة السياحة والتجارة وهكذا.

وإذا شاءت إرادة الله أن يكون العراق واحداً، ولن يُكتب له استقرار وازدهار في ضوء المنظور من غير هذا الإطار. وها قد مضى على العراق ثلاث سنوات وهو ممزّق الأوصال، فلم يحدث أيّ تطور أو تقدّم، بل إنّ الخلل في كلّ مرافق الحياة بدأ يطال أماكن كانت تسمّى آمنة.

يا أبناء شعبنا الكرام:

إنّ الحادث الأليم الذي استهدف القبة الذهبية لمرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما من الله الرضوان والسلام، وما تَبِع ذلك من فعل أثيم استهدف فيه أصحابه بيوت الله وكتاب الله والآمنين من عباد الله بالهدم والحرق والقتل؛ كان الفخّ الذي عقد عليه أعداؤنا – بالتواطؤ مع قوى أخرى– الآمال لتحقيق ما عجزوا عنه من قبلُ من إحداث الفتنة والاحتراب الداخلي، لكنّهم – بفضل الله – فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، قال الله تعالى: ((كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)).

لقد كان لهذه المحنة فوائد جـــمّـــة منها: أنها كشفت للشعب العراقي عناصر الإفساد، ومَن يمارس الإرهاب حقيقة، ومن يسعى لبعث الشرّ والفتنة في كلّ مكان، نعم... إنّ ثمة مكوناً معروفاً من شعبنا يقع عليه الظلم اليوم على نحوٍ أقسى من الآخرين، فــتُرسل عليه الطائرات لتحصد بنيرانها شيبه وشبابه، وتداهمه الدبابات لتهدم بيوته، وتتلف مزارعه، وتأتيه فرقُ الموت لتغتالَ أبناءه وأجهزةُ الأمن والحرس الحكومي لتمارسَ في حقّه أبشع أنواع التعذيب والقهر والإذلال في تواطؤ مكشوف بين هذه القوى جميعاً وقوى إقليمية أخرى على تطهيره طائفياً، لكنّ ما يجب أن نذكّر به دائماً هو أن هذه {معركة الله} وأنها بـــ{منـــزلة معركة بدر}؛ لأن المحتلّ جاء لِيطمسَ معالم الإسلام من خلال الهيمنة على هذه البقعة التي

يمكن وصفها بأنها {قلب العالم الإسلامي}، فالشرف كلّ الشرف، والعزّ كلّ العزّ لمن وفّقه الله ليكون في الطرف المدافع عن دين الله ثمّ عن الوطن، والخزي كلّ الخزي والعار كلّ العار لمن رضي لنفسه أن يكون في الطرف الآخر مشاركاً أو مؤيداً أو تابعاً ذليلاً.

يا أبناء شعبنا الكرام:

إننا واثقون من نصر الله، وإننا نراه قريباً جداً، وإننا ندعوكم بكل أطيافكم إلى مؤازرة أبنائكم البررة الذين أقسموا أن لا يغادروا ساحة الميدان حتى يُنجزَ الله سبحانه لهم وعده بالنصر، ولعدوّهم بالجلاء.

ندعوكم خشيةَ أن يأتي اليوم الذي تجدون فيه أنفسكم في موقع الملامة، فيحدّث أحدكم نفسه: لماذا لم أقدّم في سبيل الله ومن أجل تحرير وطني ما قدّمه الآخرون؟. وإنّ فرصةً مثل هذه يتعاظم فيها أجر العاملين أضعافاً مضاعفة لا تتكرّر عبر التأريخ إلا نادراً، ومن فاته السعي فيها فقد فاته حظّ عظيم، وحينئذٍ لا ينفع الندم. اللهم احفظ شعبنا كله... واحفظ له وطنه كله... وأهده السبيل لينالَ عفوك ورضاك.

اللهم ثبّت أقدام المجاهدين في سبيلك... وارحم الشهداء منهم... وأسكِنهم في علّيّين... وارزقنا جميعاً النصر الذي وعدت... يا ربّ العالمين... آمين.

الأمانة العامة

٢٠/صفــر ١٤٢٧هـ

٢٠/٣/٢٠٠٦م

الرسالة الثالثة:



رسالة مفتوحة

إلى أعضاء الحزب الإسلامي العراقي

وإلى أعضاء قائمة التوافق وإلى

الساسة في البرلمان الذين قصدوا

خدمة العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

أ- الإخوة في الحزب الإسلامي العراقي المحترمون

السلام عليكم ورحمة الله:

في ظل التطورات الخطيرة التي يشهدها الوضع في العراق، من قتل على الهوية، وحرق للمساجد، وتهجير قسري طال مئات الآلاف من أبناء العراق، فضلاً عن التآمر الذي لم ينقطع على المقاومة المباركة في عراقنا الحبيب؛ ولأن ذلك كله يجري في ظل الحكومة الحالية، وبتورط كثير من سياسييها، في تحالف واضح مع قوات الاحتلال، ودول جارة.

ولأنكم ارتضيتم أن تكونوا جزءاً من هذه الحكومة، وبالتالي تشاطرونها - شئتم أم أبيتم- المسؤولية فيما يجري على أرض العراق من أحداث جسام، نرى لزاماً علينا أن نتواصل في نصحكم، لكن هذه المرة عبر رسالة محررة؛ لأن نصحنا من قبل كان يلقى إلى قادتكم شفاهاً.

ودعونا نذكركم على سبيل الإعادة والإفادة:

أولاً: كنتم ممثلين في هيئة علماء المسلمين منذ الأيام الأولى لتأسيسها؛ لأن الهيئة قامت على أساس أن يمثل فيها مجتمعنا الإسلامي بكل مكوناته، وأطيافه، وكنا نعول عليكم في الشأن السياسي بصفتكم تنظيماً سياسياً يملك حينها قاعدة شعبية عريضة، وله تاريخ في العمل السياسي، فاقتصرت جهودنا في الأشهر الأولى من الاحتلال في الحفاظ على مساجدنا، والاهتمام بتوعية جماهيرنا بخطورة الاحتلال، والعمل على احتواء الفتنة الطائفية الذي سعى الاحتلال إلى إشعالها في وقت مبكر، وكنتم تشاطروننا هذه الجهود، حتى جاءت اللحظة المشؤومة في تاريخ العراق بعد الاحتلال، بتشكيل مجلس الحكم الذي رسخ أول قانون لأقلية السنة ودستورية المحاصة الطائفية.

كان ذلك المجلس مشروعاً أمريكياً بكل ما لهذه الكلمة من معان وأبعاد، فقد تم تعيين أعضائه من قبل السفير الأمريكي بريمر، وقسم على أسس عرقية وطائفية للمرة الأولى في تاريخ العراق ليحقق الهدف الاستراتيجي للاحتلال وهو تقسيم العالم الإسلامي إلى طوائف وأعراق، فضلاً عن أن قرارات هذا المجلس كانت تخضع للفيتو الأمريكي، وقد فاجأتمونا بالمشاركة في هذا المجلس، ولم يصل ذلك إلى علمنا إلا بعد أن شاهدنا الناطق باسم الحزب آنذاك الدكتور محسن عبد الحميد على شاشة التلفاز يدخل المنطقة الخضراء ليجتمع شمله مع الساسة الآخرين، وحينها عاتبناكم على هذه الخطوة المفاجئة، التي نرى أنكم خرجتم بها على الثوابت الدينية والوطنية؛ لأن العملية السياسية في ظل الاحتلال تعني منحه شرعية البقاء، والقدرة على تحقيق أجندته، وقلنا لكم: لماذا لم تستشيرونا، وأنتم معنا في الهيئة، وكنا قبل يوم في لقاء مشترك، كانت إجابتكم مثيرة للدهشة، فقد قلتم لنا حينها: إن هذا شأن سياسي لا علاقة لكم به، فأنتم هيئة شرعية تقتصر

مهمتها على شؤون المساجد والفتوى، وكانت لغتكم شبيهة بلغة العلمانيين الذين يرون إن الدين لا علاقة لـــه بالسياسة، على الرغم من أن الفكر الذي تنتمون إليه، يرفض مثل هذا الطرح جملةً وتفصيلاً، ويعده من آمارات الجاهلية في القرن العشرين.

لقـــد اضطرت الهيئة إزاء هذا الانقلاب المفاجئ في موقفكم إلى التدخل المباشر في الشأن السياسي حرصـــاً علـــى دين الناس ودنياهم، ولم يكن لجوابكم أثر في صرفنا عن مهمتنا، فنحن في الهيئة نؤمن إيماناً راســـخاً أن الإسلام شريعة دين ودنيا، وهو يوجب علينا جميعاً الدفاع عن بلادنا بكل الوسائل المشروعة. ومـــنها اتخاذ المواقف السياسية المناسبة في إدارة صراع بهذا الحجم، كان انخراطكم في هذا المجلس محبطاً لنا، ولاســـيما بعد أن أعلن السيد محمد بحر العلوم في يوم ولادة المجلس عن اعتبار يوم ٢٠٠٣/٤/٩م ـــ وهو تاريخ احتلال بغداد ـــ عيداً وطنياً، وعلى الرغم من أن الدكتور محسن ذكر لنا أنه في المجلس اعترض على ذلـــك لكن صوته كان ضعيفاً، ولم يتم التركيز عليه من قبلكم كثيراً بما يوحي أنه كان لكم اعتراض جدي على ذلك، كنا نذكركم دائماً بأنكم من النشطاء في تثقيف الشباب على الولاء والبراء، فما الذي تغير فيكم حتى انقلبت مواقفكم رأساً على عقب؟!..كان بعضكم يجار في الجواب، بينما يصر آخرون على الإكثار من الحـــديث عـــن الموازنة بين المصالح والمفاسد، ونشهد أن موازناتكم في هذا الصدد لم تكن مؤصلة تأصيلاً شـــرعياً ســـليماً؛ فالـــشرع رسم لنا قانوناً نحتكم إليه في حالة العراق الذي يخوض جهاد الدفع ضد الغزاة وواجب الوقت يقضي أن المقاومة لها الأولوية وما سواها يجب أن يسير لصالحها وعلى الرغم من ذلك لم نـــر حكمـــة في مقاطعـــتكم، وحرصنا على مواصلة إسداء النصح لكم، والتعويل على حسن الظن بكم، والتماس شيء من الأعذار لكم على أمل أن تتراجعوا عما ذهبتم إليه لا سيما بعد انكشاف سياسات المجلس الطائفية والعرقية، والتي كانت تحظى بمباركة أمريكية واضحة.

وكنا نطالبكم بين آونة وأخرى بالانسحاب من المجلس، ونمثل الفرص المناسبة لإعادة تذكيركم بهذا الطلب، لكن ذلك لم يقع منكم في يوم من الأيام موقع الرضا والقبول.

ثانيـاً: بـــدأ القلـــق يـــساورنا من حماسكم في أداء مجلس الحكم، فقد كنتم تظنون أن فيه حلاً للمشكلة العراقية، وكانت لكم مشاركة فاعلة في إقرار قانون إدارة الدولة المؤقت سيء الصيت، بل امتدح القانون مسؤولكم آنذاك (الدكتور محسن) بأنه قانون لم تجد المنطقة أفضل منه، كما دأب بعض سياسييكم على عدم وصف القوات الغازية بقوات الاحتلال، والدعوة إلى اعتبار ما يجري أمراً واقعاً، وضرورة التسليم للتعامل معه على هذا الأساس، فضلاً عن تصريحات أخرى كان يشمّ منها عدم الرضا عن مشروع المقاومة العـــراقية، وفي هـــذه المـــرحلة حذرناكم من أن قواعدكم بدأت تتململ من سياساتكم، وأنكم بحاجة إلى المحافظـــة عليها، ولكن هذا التحذير المبكر كان يقابل بتجاهل، وأحياناً بأجوبة غير مقنعة نسمعها من بعض قيادييكم، منها ـــ مثلاً ـــ نحن من يقود القواعد، ولا نسمح للقواعد أن تقودنا، وهكذا.

ثالثاً: لما بدأت ملحمة الفلوجة الأولى لم يكن إسنادكم السياسي والإعلامي لها يرقى إلى مستوى الطموح، وحين استنجد بكم السفير الأمريكي لتدارك الوضع المتأزم في وقت أوشكت فيه القوات الأمريكية على الهزيمة المحققة، تعجلتم في الاستجابة دون مشورة منا، وأعلنتم عن سعيكم لهدنة [١]. وحين أخبركم الأمين العام لهيئتنا إن الأمريكان لا يوثق بعهودهم، وأنهم قد ينكثون في منتصف الطريق، جزم أحد أعضاء الوفد ومعه عدد من أعضائكم الآخرين إنهم إن فعلوا ذلك فإن الحزب الإسلامي سينسحب من العملية السياسية، وبناءً على ذلك ورغبة منا في تحصيل انسحابكم، وافق الأمين العام ومجلس الأمانة والشورى على إرسال الدكتور محمد عبيد[٢] للمشاركة في محادثة أهل المدينة، وكانت الهيئة واثقة من أن الأمريكيين إذا سنحت لهم الفرصة فسيغدرون لا محالة، لذلك حمل وفد الهيئة نصائح إلى أهل المدينة، منها:نصحهم ألا يمنحوا الهدنة تقتهم الكاملة، وأن يعدوا أنفسهم لمنازلة جديدة محتملة، ولا سيما أن قوات الاحتلال (فيما نما إلينا من علم) تعد خنادق لآلياتها من جديد حول المدينة، فعليهم أن يحذروا من غدرها. ثم بعد أيام حدث ما توقعناه، وغدر الأمريكان حين هاجموا المدينة من جديد، لكن المقاومة المباركة كانت لهم بالمرصاد، وهنا دعاكم الأمين العام إلى الوفاء بالوعد والانسحاب من العملية السياسية لأن الأمريكيين غدروا بأهل المدينة، لكنكم حينها اختلقتم معاذير للتحلل من هذا الوعد، ولولا لطف الله باضطرار الأمريكيين بعد ذلك إلى اللجوء إلى حل، لكانت الهدنة هذه سبباً في دفع المدينة إلى ما لا تحمد عقباه.

رابعاً: قرب موعد الانتخابات الأولى، وأدرنا معكم حوارات عديدة دامت لساعات حول موضوع المشاركة، منها اللقاء الشهير الذي تم في شهر رمضان المبارك في دار أحد قياديكم، بحضور الأمين العام للهيئة وعدد من أعضاء الهيئة وعدد من كبار قياديكم، حينها أكدنا لكم إن الدخول في الانتخابات يعني إنجاحاً للمشروع الأمريكي، وإن الرد الأمثل في إفشال هذا المشروع هو مؤازرة المقاومة بمقاطعة الانتخابات، فضلاً عن أن المشروع يهدف إلى إسناد الدولة إلى الساسة الذين جاءوا مع الاحتلال، وتهميش الآخرين، وقلنا لكم حينها: سيجتهد المحتل — وهو الذي يملك كل شيء في العملية السياسية — إلى إجرائها على نحو يحقق له هذا المراد، لكنكم كنتم مصرين على المشاركة، وكنتم تقولون لنا: شيء نحصل عليه خير من لاشيء، وكنا نجيبكم: إن الشيء الذي ستحصلون عليه سيضيع كل شيء، ثم قدر الله سبحانه أن تعترض المسيرة السياسية معالم الملحمة الثانية للفلوجة، فكانت ثمة مؤشرات على أن قوات الاحتلال تعد العدة لضرب الفلوجة من جديد ضربة قاضية، وقد جاءنا حينها علماء الفلوجة وطلبوا منا عقد مؤتمر طارئ لعلماء العراق لمناقشة الخطر المرتقب على المدينة، وقمنا فعلاً بدعوة ما يقرب من مائتي عالم من مختلف أنحاء

---

[١] بالاشتراك مع الهيئة في صباح ٢٠٠٦/٤/٩، وأعلن هذا على بعض القنوات الفضائية قبل أن يلتقي وفد من الحزب بالهيئة.

[٢] نائب أمين عام الهيئة.

العراق، وكنتم طرفاً مدعواً في هذا اللقاء، وتم حينها الاتفاق على جملة من الأمور، منها: إن الفلوجة إذا تم اجتياحها أو تواصل ضربها بالطائرات أو طال ذلك مدناً عراقيةً أخرى فإنَّ هذا الجمع العلمائي سيدعو الشعب العراقي إلى مقاطعة الانتخابات، وتفويض هيئة علماء المسلمين بالإعلان عن ذلك في الوقت المناسب، وقد وقعت على هذا الاتفاق لجنة ممثلة لجميع الحاضرين، بمن فيهم الحزب الإسلامي، الذي وقع عنه أحد قيادييه المفوضين بذلك[١].

ثم حدث ما توقعناه فتمّ شنّ الحرب على المدينة الباسلة الفلوجة، وقمنا من جانبنا بأداء ما اتفقنا عليه[٢] فأعربنا عبر الفضائيات عن دعوة الشعب العراقي إلى مقاطعة الانتخابات وفي اليوم التالي تفاجأنا بأنكم ترفضون هذه الدعوة، وتعلنون عن عزمكم المشاركة في الانتخابات، وحين ذكرناكم بالاتفاق قلتم: إن المصلحة تقتضي المشاركة، وفعلتم كل ما في وسعكم لحثّ الناس على الانتخابات، حتى أن بعض أعضائكم زوّر على لسان الهيئة بياناً يدعو الناس فيه إلى المشاركة في الانتخابات، ولم يكن للهيئة في ذلك التاريخ سوى بيان المقاطعة، وقد سلمت نسخة من البيان المزوّر إلى المسؤول الأول في تنظيمكم من قبل أحد أعضاء الأمانة العامة، وذكر له أن أعضاء منكم كانوا يوزعونها على الناس في المساجد، وبعد أن تأكد لكم أن المشاركة في الانتخابات ضارة وغير مجدية، وأنها ليست في صالحكم لأسباب كانت محيطة بها

---

[1] هو الدكتور زياد العاني الأمين العام المساعد للحزب الآن.

[2] حسب التخويل المعطى للهيئة من المؤتمر المذكور، وفيما يأتي نص قرارات هذا المؤتمر:

((ثانيا. القرارات:

أ. يرى أصحاب الفضيلة أن أبناء الشعب العراقي يمارسون واجباً دينياً، وحقاً دولياً في مقاومتهم الاحتلال، وهم يباركون لأبناء الفلوجة جهادهم وصبرهم، ويسالون الله عز وجل لهم الثبات ومجاوزة الأزمة.

ب. تتحمل حكومة إياد علاوي العراقية المؤقتة المسؤولية الشرعية والقانونية والتاريخية الكاملة عما يتعرض له الشعب العراقي من حرب إبادة تمارسه قوات الاحتلال، وتشاطرها في ذلك قوات وميليشيات تابعة للحكومة لدورها في استبعاد الحلول السلمية ومنحها قوات الاحتلال مبرراً لمهاجمة مدينة الفلوجة وغيرها من المدن العراقية. =

ج. تعد ذريعة الانتخابات في اجتياح المدن مرفوضة لا تستحق الاحترام، ويدعو أصحاب الفضيلة أبناء الشعب العراقي كافة، إذا تم اجتياح مدينة الفلوجة، أو استمر عليها قصف الطائرات والمدفعية، أو طال ذلك مدناً عراقية أخرى إلى مقاطعة الانتخابات المقبلة، واعتبار نتائجها باطلة.

د. يلجأ المجتمعون إذا تدهورت الأوضاع إلى اتخاذ وسائل أخرى أكثر ردعاً.

هـ. تُشكل لجنة من علماء المسلمين في العراق، للإعلان عن سريان تفعيل هذه القرارات وتطبيقها في الوقت المناسب، ومتابعة ما ورد في هذا المؤتمر من مقترحات...))

آنــذاك، مــنها: قــيام قوات الاحتلال بتسخين المناطق التي توجد فيها قواعدكم، اتخذتم مشكورين قراراً بمقاطعتها، وكان قراراً صحيحاً، جمع الصف للمرة الأولى على قرار واحد.

حين تمت العملية الانتخابية بأداء فاسد من قبل قوات الاحتلال والقوى السياسية المتحالفة معه، وفــاز بمعظم المقاعد حزبان من المكونات السياسية الشيعية وحزبان من المكونات السياسية الكردية حصل لدى الناس شعور بالإحباط، وشيء من الندم غير المبرر، ولم يكن ذلك مقلقاً لنا في الهيئة، لأننا كنا واثقين بــأن هذا الشعور سيتلاشى بمرور الأيام، لأسباب كثيرة منها: أن الاحتلال سيتخذ من هذه الحكومة معبراً لتنفــيذ أجندته في تخريب العراق وتدمير بناه التحتية، ومنها أن الساسة الذين وسد إليهم الأمر ظاهراً ليسوا أكفــاء ولا مخلــصين، وهذا يعني أن أداء الحكومة سيكون سيئاً وضعيفاً، وسيدفعها ذلك إلى مطالبة قوات الاحــتلال بالبقاء، فضلاً عن التعسف والظلم والأداء الطائفي والعرقي الذي كان متوقعاً من ساسة عرفوا بحقــدهم الدفين على أرض العراق وأبناء العراق، وهذا ما حصل في عهد إبراهيم الجعفري، وقد سلمتم ــ بفضل مقاطعتكم الانتخابات ــ من تبعاته الشرعية والقانونية والتاريخية، لكنكم للأسف الشديد لم تحسنوا استثمار الحدث، بل طفقتم تظهرون أسفكم على المقاطعة وندمكم على تبنيها موقفاً، وعزمكم على تعويض ما فات بالمشاركة الكبيرة في الانتخابات القادمة، ومع إنكم اتخذتم قرار الانسحاب[١] بملء إرادتكم من دون أن يملــي أحــد علــيكم هذا الموقف، لم تتوانوا باستغلال سخط الناس لتعبئتهم ضد هيئة علماء المسلمين وتحريضهم على مواقفها، فمن جانب صدر من قبلكم تقرير سياسي[٢] حملتم فيه الهيئة المسؤولية الكاملة عن عدم المشاركة في الانتخابات، وكأنكم لم تقاطعوا الانتخابات مثلها، ومن جانب آخر قادت قواعدكم حملة دعائــية منظمة ضد هيئة علماء المسلمين تحملونها فيها المسؤولية عن كل ما جرى، وسطرت في ذلك أقلام بعــض مــن قياديكم تقارير وكلمات ومواقف ما أنزل الله بها من سلطان[٣] ؛ ومع ذلك كله آثرنا التزام الهــدوء، وصــرف النظر عن التعقيب عليكم، حفاظاً على وحدة الصف، وأملاً في أن تظهر الأمور على حقائقها بمرور الوقت، وهذا ما حدث من بعد.

---

[1] بعد لقاء لقادة الحزب تم خارج العراق وتم فيه اتخاذ قرار المقاطعة.

[2] التقرير السياسي الأول لعام ٢٠٠٥م.

[3] من ذلك: قول أمين عام الحزب السيد طارق الهاشمي في اجتماع لجنة متابعة قرارات مؤتمر القوى السياسية بتاريخ ٢٨/١١/ ٢٠٠٤م ((لسنا بالذي ينفرد بأي قرار...وأن نفتح باباً واسعاً للحوار مع إخواننا وأن لا نلزم أنفسنا من الوهلة الأولى كما فعلت هيئة العلماء)). وكلام الدكتور محسن عبد الحميد في محاضرته بتاريخ ٢٤/٢/ ٢٠٠٥م المنشورة في النشرة الداخلية لمكتب التنظيم في الحزب الصادرة بتاريخ نيسان- أيار/٢٠٠٥م.

خامساً: ثم جاءت معضلة الدستور، وكانت فيه قصة ذات شجون.. لقد قررت قوات الاحتلال الأمريكي أن يكتب الدستور في ظل حكومة الجعفري، وأعدت لهذا الأمر عدته.

كان هناك (٦) ستة ملايين نسمة بحسب إحصاءات الحكومة قاطعوا الانتخابات، ومن هنا كانت الجمعية الوطنية التي انبثقت عنها اللجنة الدستورية بشهادة القائمين على العملية السياسية — سواء أكانوا أمريكيين أم عراقيين — لا تمثل الشعب العراقي كله، فهناك مكونات أساسية مغيبة، هم يسمونهم السنة، ونحن نسميهم القوى المناهضة للاحتلال[١].

والسؤال الآن: من يمثل هؤلاء في كتابة دستور دائم للبلاد ؟

في البدء كان هناك توجه لتجاهل هذا المكون على اعتبار أن كتابة الدستور — كما في قانون إدارة الدولة — من شأن المنتخبين، وما دامت هذه القوى لم تشارك في الانتخابات فلا يحق لها كتابة الدستور.

وإزاء هذه المعضلة اضطر اللاعبون إلى السعي لتعيين لجنة تمثل هؤلاء المغيبين، و لم يكن هذا الحل سليماً، لكنه لذر الرماد في العيون؛ لأن هؤلاء المعينين لم ينتخبوا كما هو الحال بالنسبة للآخرين، وبالتالي لا يمكنهم الادعاء بأنهم يمثلون القوى المغيبة، وهم لم يزعموا ذلك. وإذاً.. ظلت العملية الدستورية حتى هذه اللحظة فاقدة لركن من أركانها، ولكن القوى السياسية كانت تصر على أن هؤلاء يمثلون القوى المغيبة، وبالتالي لم يعد لأحد الذريعة — كما زعموا — للطعن بالعملية الدستورية..

وفي كل الأحوال كان هذا الظرف سانحاً لكم لتشجبوا العملية الدستورية برمتها وتستغلوا هذا النقص الذي فيها، لتتجنبوها وتفشلوا مخطط الاحتلال، لكنكم لم تفعلوا، وشاركتم فيها على الرغم من كل عيوبها، وساهمتم بحماس في إنجاحها[٢]، ومارست هذه اللجنة دورها، وجهدت للوصول إلى ما تظنه منسجماً مع طموحات القوى المغيبة، فقدمت ملاحظاتها ومآخذها، وكان ما قدمته يصطدم مع المخطط الأمريكي في إضعاف العراق، ويصطدم مع مصالح القوى التي أبرمت معه اتفاقاً على تنفيذ المخطط بما يخدم مصالحها ويضر بالصالح العراقي العام، فرفضت هذه الملاحظات والمآخذ، وهنا تغير الأسلوب في التقويم، فبدأت القوى السياسية التي كانت بالأمس تزعم أن هؤلاء يمثلون القوى المغيبة، وأنه لم يعد لأحد الاعتراض بعدم تمثيلهم، تبرر رفضها - هذه المرة - لمقترحاتهم ومآخذهم بأن هؤلاء معينون وليسوا منتخبين، وبالتالي هم لا يمثلون القوى المغيبة، ولا يمكن أن نطمئن إلى ما قدموه على أنه بالفعل يمثل آراء المغيبين، وحين كان

---

[١] قال الدكتور محسن عبد الحميد في حينها ((إن الانتخابات كانت ناقصة لأن قرابة ستة ملايين عراقي من السنة لم يشاركوا فيها)). [جريدة السفير اللبنانية_٢/٢/٢٠٠٥].

[٢] على الرغم من قول أمين عام الحزب السيد طارق الهاشمي للصحافة العربية في حينها:((إن وجود الحزب في صفوف المعارضة أبلغ تأثيراً من وجوده في السلطة)) وتشديده على ((إمكانية حشد الدعم لاستخدام حق الفيتو للطعن في الدستور)). [جريدة السفير اللبنانية٢/٢/٢٠٠٥].

هـؤلاء الساسة يسألون كيف لكم أن تعرفوا إذاً مواقف القوى المغيبة في صياغة الدستور؟!، كانوا يجيبون بكل بساطة إن أمامنا استفتاء ومن خلاله سنعلم مواقفهم، وكانت الهيئة على يقين أنَّ الدستور سيمرر مهما كلف الثمن، وبالتالي فإن أفضل رد لإفشال مشروع الدستور هو الدعوة إلى مقاطعة الاستفتاء، فمع المقاطعة سيتعذر على الأمريكان إقناع العالم أن هذا الدستور يمثل العراقيين جميعاً، ومن أجل ألا تنفرد الهيئة بمثل هذا القرار دعت كل القوى المناهضة للاحتلال لاجتماع طارئ لمناقشة قضية الاستفتاء على الدستور، وقد تمت دعـوتكم على الرغم من أن بعض أعضاء الهيئة لم ير مبرراً لدعوتكم ضمن القوى المناهضة للاحتلال، على اعتـبار أنكم شاركتم في مجلس الحكم، لكن السيد الأمين العام للهيئة وقف إلى جانبكم وقال: ما داموا قد قاطعـوا العملية الانتخابية فلابد من دعوتهم إلى هذا الاجتماع، وفي هذا اللقاء [1] نصح السيد الأمين العام للهيئة بالمقاطعة، وذكر الجميع أنها السلاح الوحيد المضمون لإفشال مشروع الدستور، لكنكم ومعكم أكثر الحاضـرين أصررتم على أن يكون إفشال الدستور من خلال المشاركة في الاستفتاء بقول (**لا**) وحين أكد لكـم الأمـين العام أن أمريكا لن تسمح بأن تغلب (**لا**) على هذا العملية، وإن اقتضى ذلك أن تقود أكبر عملـية للتزوير، فضلاً عن أن مجرد المشاركة يمنح العملية شيئاً من الشرعية، قلتم:لن نسمح لها بذلك، فقد حـزمنا أمرنا وأعددنا لكل شيء عدته، وأمام هذا الإصرار اضطرت الهيئة إلى أن تصدر بياناً يتضمن الحد الأدنى من المتفق عليه، فتمّ الإعلان عن موقف المجتمعين وهو رفض الدستور بكل الوسائل المشروعة، وفسرنا ذلك لوسائل الإعلام من خلال ناطقنا الرسمي، بأن الرفض سيأخذ منحيين: منحى المقاطعة وهو موقف هيئة علمـاء المـسلمين والقوى السياسية المؤيدة لها، ومنحى المشاركة بكلمة (**لا**) وهو موقفكم وموقف قوى أخرى، ونشهد أنه كان لكم نشاط مميز في تعبئة الجماهير لقول: لا للدستور، فقد طبعتم آلاف المطبوعات، ودونتم على آلاف اللوحات، واستثمرتم كل ما تملكون من وسائل إعلام، واستطعتم تعبئة الجماهير للرفض واشتهرت على لسانكم الكلمة:(سنقول أكبر لا في التاريخ)، وفي خضم هذه التعبئة الميدانية التي كانت مثيرة للإعجـاب بحق، نفاجأ ويفاجأ معنا كل العراقيين، بمن فيهم جماهيركم وقواعدكم، وقبل أقل من ٤٨ساعة مـن يـوم الاستفتاء بخبر مفاده أن السيد طارق الهاشمي يدعو العراقيين ليقولوا: نعم للدستور!!! لم يصدق الـناس الخبر أول الأمر حتى ظهر السيد الهاشمي بنفسه يعلن عن هذه الدعوى، مبرراً أنه استطاع أن يضيف مـادة في مـسودة الدستور برقم ١٤٢ تسمح بتغيير أي فقرة من فقرات الدستور، كان ذلك أشبه بالمزحة الثقـيلة لأن هـذه المادة تشترط لإنجاز التغيير موافقة أغلبية البرلمان، وعدم وجود معارضة لها من قبل ثلثي ثلاث محافظات، وهذا أمر يشبه المستحيل.. كانت هذه الخطوة كافية لإخراج قوات الاحتلال الأمريكي من المأزق الشديد الذي كانت فيه، وكافية أيضاً لإصابة ملايين العراقيين بالإحباط المدمر حسياً ومعنوياً، وفي ذلك الحين اضطرت الهيئة إلى إخراج بيان أعربت فيه عن أسفها لخروجكم عن الاتفاق، ولم يحظ هذا البيان

---

[1] عقد هذا اللقاء بتاريخ (٥/رمضان/١٤٢٦ــ ٨/١٠/ ٢٠٠٥).

برضا أعضاء كبار في الهيئة كانوا يرون ضرورة أن توجه إليكم إدانة تضعكم في مصاف القوى المتضامنة مع الاحتلال في مشروعه،كما لم ترض بذلك قطاعات واسعة من أبناء شعبنا، رأت هي الأخرى أن الفعلة تستحق مواقف أكثر صلابة، وعبارات أشد إيلاماً، و لم يكن للهيئة من قصد في تخفيف اللهجة سوى الحفاظ على الوحدة، وخشية أن تفتح عليكم أبواب من الأذى من قبل جهات لا تحسن تقدير العواقب[١].

سادساً: ثم جاءت الانتخابات الثانية، و لم يتغير موقف الهيئة منها، لكنكم وبسبب الأداء الطائفي لحكومة الجعفري، في ملاحقة أهل السنة وتعذيبهم وقتلهم على الهوية، استطعتم أن تقنعوا الجماهير بالمشاركة فيها، من خلال الزعم بأن ما يجري على السنة من اضطهاد سببه عدم المشاركة في الانتخابات السابقة، وأن المشاركة في هذه الانتخابات كفيل بدفع هذا الظلم عنهم، وإعادة الحقوق لهم، وتمّ استغلال هذا المشهد في الوقت ذاته لتوجيه الطعون مرة أخرى إلى مواقف الهيئة السابقة من العملية السياسية في ظل الاحتلال، وكأنه لا شاغل لكم في العراق المحتل سواها.

هنا لابد من الإشارة إلى موقفكم في لقاء القاهرة الأول[٢] الذي تم قبل الانتخابات، واجتمعت فيه الهيئة مع القوى والأحزاب المشاركة في العملية السياسية لأول مرة.

لقد كان أداؤكم فيه سلبياً، سواء في الجلسات المعلنة أم في الجلسات المغلقة، فلم تساندوا الهيئة في موقفها من ضرورة الاعتراف بالمقاومة وعدم وسمها بالإرهاب، وجدولة الانسحاب، وعدم المشاركة في العملية السياسية، بل كانت مجاملاتكم لهذه القوى السياسية في اللفظ واللحظ واضحة، وكنتم أحياناً تمارسون ضغوطاً على الهيئة لإقناعها بإبداء شيء من المرونة بدلاً من الوقوف إلى جانبها، وكأن القضية العراقية قضيتها وحدها فقط!! على أية حال لنعد إلى قضية الانتخابات، فقد تمت في السياق الذي رسمته لها قوات الاحتلال من منح القوى المتحالفة معها الأكثرية، وتهميش الآخرين، وكانت هذه النتيجة بالنسبة لنا معلومة سلفاً، وسبق أن نبهناكم عليها، ولسنا نعلم الغيب بطبيعة الحال، لكننا استوعبنا في وقت مبكر أبعاد المشروع الأمريكي، وأهدافه الإستراتيجية في المنطقة[٣]، وفي ضوء ذلك كنا ندرك كيف سيتصرف، وأي الخطوات التي سيعتمدها لتحقيق أحلامه وأوهامه.

---

[1] وظهر هذا الموقف في بياننا المرقم (١٦٩) وشفعناه بالبيان (١٧٠) الذي أبدينا فيه انزعاجنا واستغرابنا لاستهداف مقرات الحزب وملاحقة بعض منتسبيه بسبب موقف الحزب من الدستور، وقلنا ساعتها: ((إننا محكومون بخطاب الشرع فالحجة تقرع بالحجة والخطأ يعالج بالصواب ومأمورون بأن لا نساعد الشياطين على إخواننا وأن لا ندع أي ثغرة بإمكان العدو أن يوظفها لصرف الناس عن مشروعها الحضاري بمقارعة الاحتلال ورفض الدستور المسخ إلى شيء آخر)).

[2] تشرين الثاني_٢٠٠٥م.

[3] التي لا تخطئها العين ولا تخفى على قادة الحزب الإسلامي، وأدبيات الحزب قبل الاحتلال حافلة بذلك.

انـــتهت الانتخابات وفي الأيام الأولى من تسريب المعلومات عن النتائج، ظننتم إنكم حصلتم على نـــسبة مـــتقدمة، وأخذتكم النشوة، وسللتم مرة أخرى سيوفكم ضد هيئة علماء المسلمين، وكنتم تقولون للـــناس انظروا لقد كادت الهيئة بإحجامها عن خوض الانتخابات أن تضيع فرصة ذهبية، بل ذهب بعضكم إلى أبعـــد من ذلك حين أطلق لسانه ليصف الأمين العام للهيئة بأنه دكتاتور، وأنه لا يأخذ بالشورى، وأنتم أعلـــم الناس بزيف هذا الادعاء لأن لكم أعضاء في الهيئة يعلمون تماماً أن قرارها شوري، لكن الذي بدا لنا من خلال التجربة معكم أن كل من لم يطاوعكم على قراراتكم المغامرة تعدونه مستبداً، ثم لما بدأت النتائج تظهر للعلن، وكانت مخيبة لآمالكم، ومؤكدة لما توقعناه من أنها لا تخرج عن نسبة المحاصصة، وهي ٢٠%، لم تعتـــرفوا بخطأ تقديراتكم، بل عدتم إلى تحميل الهيئة المسؤولية بحجة أنها لم تدعُ الناس إلى الانتخابات مع العلـــم أن الهيـــئة كان موقفها واضحاً في ترك العراقيين وما يختارونه، في وقت تعلمون فيه جيداً أن مقاعد الـــبرلمان محـــددة سلفاً بطريقة غير عادلة وتوزيع المقاعد واضح جداً[1]؛ فحتى لو تضاعفت المشاركة، فلن يحدث تغيير في النسبة المحددة لكم.. وحين تأخر تشكيل الحكومة شهوراً كنا نسمع من الناس أن مساومات تجـــري بين الكتل السياسية، وكعادتكم لم تقوموا باطلاعنا على شيء مما يجري، اضطرت الهيئة إلى تشكيل وفـــد من أعضائها لزيارتكم، وإبلاغكم ضرورة اطلاعها على ما يجري خلف الكواليس، وقال لكم الوفد بالحـــرف الـــواحد:صحيح إننا قاطعنا العملية السياسية لكن من المهم أن نحاط علماً بما يجري، وقدموا لكم حيـــنها نصحاً ألا تتنازلوا عن وزارة الداخلية لأنكم وعدتم الناس برفع الظلم عنهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتسلم وزارة الداخلية، لكنكم قلتم إن وزارة الدفاع أهم للمستقبل، وحين وجه إليكم الوفد سؤالاً: ماذا لو جردتم من الوزارتين معاً؟! قلتم له حينها: سننسحب من العملية السياسية لأن ذلك يعني أن ثمة مؤامرة على الـــسنة لإبادتهم، لكن الذي حصل أنكم فعلاً جردتم من الوزارتين و لم تفعلوا شيئاً، ثم إنكم لم تحصلوا على أية وزارة سيادية، ومع ذلك ما زلتم متشبثين بمواقعكم في الحكومة، في حين أسندت إلى الكتل السياسية المعروفة بطائفيتها أو تعصبها القومي بضعة عشر وزارة بما فيها وزارات سيادية وعلى رأسها وزارة الداخلية التي حرص السياسيون الطائفيون على إسنادها إليهم، وساهمتم في تحقيق هذه الرغبة لهم، وبالتالي بقيت فرق المـــوت، وميليـــشيا جـــيش المهدي، وفيلق بدر وغيرهم من مافيا القتل يحصدون أرواح الأبرياء حصداً، ويهجرون عشرات الآلاف، وأنتم تبصرون ذلك كله ولا تحركون ساكناً، وكأنكم لم تقطعوا للناس عهوداً، وأن تحولوا بينهم وبين من يكيل لهم الموت والتعذيب كيلاً.

---

[1] مثال على ذلك محافظة الأنبار التي حجبت عنها أربعة مقاعد وأعطيت لمحافظتين أخريين بذريعة مختلقة.

سابعاً: في هذه الأيام يثار موضوع الفدرالية ليتم التصويت عليه في البرلمان، وعلى الرغم من أن هذا الأمر متعلق بموضوع الدستور، الذي هو من وجهة نظرنا باطل، ومن وجهة نظركم، غير مؤهل للعمل به، لا سيما نقاطه الخلافية، لأن المادة ١٤٢ التي وضعتموها أنتم تنص على فتح الباب لتعديله، وفي الوقت الـــذي تعلمون فيه أن هذا المشروع يراد له أن يكون البداية لتقسيم العراق، وأنه يحمل أجندة لدول إقليمية وغير إقليمية همها إضعاف العراق، وأنه يصب أيضاً في صالح قوى سياسية تواطأت مع المحتل في غزو العراق، وعلى الرغم من أنكم على علم بأن بيان القاهرة في اللقاء الثاني بتاريخ ٢٥ــ٢٧/تموز/٢٠٠٦م الذي وقعت علـــيه كل القوى السياسية المشاركة في البرلمان نص على أن يكون الدستور ونقاطه الخلافية موضوع إعادة ومراجعة في مؤتمر المصالحة القادم؛ لم يكن لكم حماس[1] في رفضه، وكانت ثمة قوى في جبهة التوافق أكثر حماســاً مـــنكم، بل الغريب أنكم بدأتم تشاركون في تقديم حلول ظاهرها الوسطية، وباطنها فيه استدراج الآخرين للوصول إلى الإقرار النهائي للمشروع.

فأين الشعارات المعروفة في محاربة الطواغيت، وخطط الاستعمار؟!

وأين الحرص على وحدة البلد والأمة؟!

وأين مفاهيم الشيخ حسن البنا رحمه الله في أصوله العشرين؟!!

إننا نذكركم بالله أولاً ثم بتاريخكم...

إنكم مدعوون اليوم إلى تدارك الوضع قبل فوات الأوان، وإصلاح ما يمكن إصلاحه منه، ولابد أن تمتلكوا من الشجاعة ما يحملكم على الإقرار بخطأ تقديراتكم في كثير من الأحيان.

---

[1] نشير هنا إلى وصية الدكتور عبد الكريم زيدان في (عمان) صائفة العام قبل الماضي عندما أصر على عدم الموافقة على الدستور إذا ما تضمن موضوع الفدرالية التي تقرب عنده من الكفر، ونذكر بقول الدكتور أسامة التكريتي عضو مجلس النواب الحالي عن الحزب في لقائه مع (موقع إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٨/٤/٢٠٠٣م ((إن دور الجماعة في هذه المرحلة هو تعبئة الأمة والشعب العراقي على وجه الخصوص لمقاومة الاحتلال ودحره بكل ما يتيسر لنا من وسائل))، كما نذكر أيضا بما نشرته مجلة دار السلام - عندما كانت تصدر في المهجر في عددها (١٢٤) في تشرين الثاني/ ١٩٩٨، فقد جاء في مقال فيها بعنوان (الإسلاميون والمشاركة في الحكومات) : ((في كل الحالات التي حصلت فيها الحركات الإسلامية على حصة من المشاركة فإنها لم تحصل على سلطة حقيقة)) وختم هذا المقال بقول كاتبه: ((ينبغي في ختام هذه السطور أن نتذكر بعض المعاني العامة التي يفترض على الحركات الإسلامية أن تأخذها بنظر الاعتبار عند معالجة هذا الملف فالانعزال العميق عن الواقع بدعوى الحفاظ على المبدئية والثوابت هو منهاج خاطئ ويشكل خطراً على مصالح الحركة الإسلامية بقدر ما يشكل مسايرة الواقع والمبالغة فيه مثل هذا الخطر.... وعلى الجانب الآخر فإن المسايرة الفجة للواقع ينشأ عنه خسارة الحركة لسمعتها وصورتها وضياع مشروعها التغييري الجذري وفقدانه للمصداقية ورفض الناس الاقتناع به)).

وأنـتم مدعون أيضاً، لتتخذوا موقفاً حاسماً من مجمل العملية السياسية التي تجري في العراق، فضلاً عن بعض مفاصلها الخطيرة لا سيما قضية الفدرالية المثارة حالياً في البرلمان التي يستدرج فيها الناس إلى القبول بالمشروع الأمريكي عبر تخطيط مدروس، يستغل فيه عامل الزمن، وسخونة الأحداث.

إن العراق أمانة عظيمة في الأعناق، فلنكن على حذر من تفويت الفرصة في الحفاظ على هذه الأمانة.

ب- الإخوة في جبهة التوافق المحترمون

والإخوة الساسة في البرلمان الذين قصدوا خدمة العراق المحترمون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

فلسنا بحاجة إلى تذكيركم إنكم أعلنتم أكثر من مرة أسباب ولوجكم العملية السياسية، وفي مقدمة ذلك، الحفاظ على الوحدة الوطنية ودفع الظلم عن أهليكم وإعادة التوازن الذي فقد – في ضوء تصريحاتكم – بسبب غياب شرائح كبيرة من المجتمع العراقي عن الانتخابات، ولقد كان حماسكم للمشاركة كبيراً، وثقتكم بنتائجها طاغية على كل الاحتمالات الأخرى، وما زلنا نذكر تصريحات أحد أعضائكم "إننا سنخوض الانتخابات حتى لو اجتيحت كل مدننا، وهدمت كل منازلنا، سنخوض الانتخابات، لنبعد عن أهلنا الظلم، والقتل على الهوية، والاعتقال والتعذيب".

إن المتأمل في الأوضاع بعد الانتخابات يجد من دون عناء أن الظلم الذي قصدتم بمشاركتكم دفعه زاد وطأة على الناس، وإن عمليات القتل والتعذيب والاعتقال على الهوية التي حرصتم على تطهير المجتمع من بلائها قد استشرت فيه حتى بلغت أضعافاً مضاعفة عما كانت عليه الحال في مرحلة سياسية لم تشاركوا فيها، وإذا كانت الإدانة يسيرة في عهد الجعفري، لغيابكم عن تلك الحكومة، مما يسهل تشخيص سلوكه الطائفي، والتعصب العرقي لآخرين متنفذين في حكومته، فإن الإدانة في هذه المرحلة ليست باليسر ذاته، لأنكم جزء من الحكومة، تشاطرونها المسؤولية فضلاً عن أنكم تمنحونها بهذه المشاركة غطاءً لتتستر به على نواياها الطائفية والعرقية، ولن يقبل منكم عذر أنكم غير راضين، لأن خطورة المخطط الذي يجري تنفيذه في العراق من خلال هذه الحكومة، ينبغي أن يدفع من كان فيها ذا دين ووفاء للوطن أن يقف ضد المخطط، ويمنع تمريره، لا أن يكتفي بمواقف خجلى، لا تغني ولا تسمن.

إن كثيراً من أبناء الشعب العراقي علق آمالاً عليكم، في كشف ما ألم به من ظلم، وأنتم قطعتم له الوعود في هذه السبيل، فما الذي تحقق من وعودكم لأبناء شعبكم؟!.

إن المحبط لدى الناس أن يجدوا أعضاء منكم كانوا من قبل أكثر حماساً في نصرة القضية العراقية والتمسك بالوحدة العراقية، يناصرون — اليوم- الخطوات التي تتخذ في البرلمان لتمرير مشروع الفدرالية، وكلنا يعلم أن هذا المشروع لا يراد منه إلا التجزئة والتقسيم.

إنكم مطالبون الآن أن تصارحوا شعبكم، بما يجري خلف الكواليس، وأن تكون لديكم الشجاعة لتوضحوا له أسباب عجزكم وإخفاقكم، فضلاً عن ضرورة أن تتخذوا موقفاً حاسماً يدفع عنكم طائلة المسؤولية، ويبرئ أيديكم من المشاركة - وإن كانت غير مقصودة - في سيل الدم المهراق ظلماً وعدواناً، وانحدار البلاد إلى التقسيم، والتردي في كل الاتجاهات، وهنا لابد أن نشير إلى الموقف المشرف والمبدئي لمن وقف بشجاعة ضد مشروع الفدرالية في البرلمان، ونذكركم بأن الوضع اليوم في ظل العملية السياسية التي دعوتم لها أبناء شعبكم، والحكومة الحالية التي شاركتم فيها -كما أعلنتم- من أجل إنقاذهم؛ يتلخص بالآتي:

[الأرض محتلة.. والدماء مهدورة.. والأعراض منتهكة.. والأموال مسلوبة.. والدور مهدمة.. والعوائل مهجرة.. والمساجد محتلة أو مغتصبة.. والعلماء والأئمة والخطباء ينحرون نحر الشياه.. والمدن ما بين حصار واجتياح، أو هدم واقتحام.. والخطوات ماضية في سبيل التقسيم].

أعضاء الحزب الإسلامي العراقي
أعضاء قائمة التوافق
الساسة في البرلمان الذين قصدوا خدمة العراق

إن هيئة علماء المسلمين التي نذرت نفسها للدفاع عن الحق وأهله منذ الوهلة الأولى التي تأسست فيها، وقطعت على نفسها أن تقارع الاحتلال وأهله بكل ما تمتلك من وسائل، وأن تقول كلمة الحق غير هيابة ولا وجلة، تقدم لكم النصح ،ولكن هذه المرة برسالة محررة إليكم جميعاً.

إن هذا البلد ليس ملككم حتى يسمح لكم أن تحددوا معالم مستقبله كما يروق لكم.. إنه ملك شعب قوامه ٢٧ مليون نسمة لن يرضى بأقل من الحرية والاستقلال والعيش الرغيد، وهو من أجل ذلك يضحي بأبنائه شيباً وشباباً، ويجود بممتلكاته من غال ونفيس، ويتجرع الصبر، ويتحمل الصعاب ويجتر الآلام.. فحذار حذار من تجاهل هذه المعاني في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العراق، فهذا البلد ملك للعالم الإسلامي، وهو بالنسبة له كالقلب النابض الذي يطال بتداعياته كل أجزاء هذا العالم، كما يطال القلب بتداعياته كل أجزاء الجسد، ومن هنا كانت الحرب الدائرة فيه، من القدسية بمنزلة معركة بدر الكبرى، لأنها فيصل بين الحق والباطل، والنور والظلمات.. فمن كانت له في هذه المعركة مواقف ترضي الله ورسوله، فليطب بذلك نفساً، وليستبشر بالخير العاجل والآجل، ومن سولت له نفسه أن يغامر فيها، أو يقامر عليها، أو يجني من ورائها منافع ومصالح خاصة، فإن عقوبة الله له بالمرصاد، ولن يغفر له الناس فعلته،

وسـيأخذ مـوقعه المناسب في صفحات التاريخ.. إننا على ثقة من أن العراق سينال التحرير قريباً بإذن الله بجهود أبنائه المجاهدين البررة، وإنه سيبقى وطناً واحداً، عصياً على محاولات الأعداء في التجزئة والتقسيم.

ولكـن ثمـة فرق بين أن يقوم هذا الأمر بنا، فيكون لنا به الشرف والعز والسؤدد، وبين أن يقوم علينا، فنحرم من ذلك الفضل، ويتلقى المسيء منا ما جنته يداه، مما يندى له الجبين ولا تحمد عقباه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ المزمل: ١٩

وإن الهيئة سيكون لها موقف في ضوء ما ستقدمون عليه من مواقف.

وصلى الله على محمد وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار.

الأمانة العامة ومجلس الشورى

لهيئة علماء المسلمين في العـراق

٤/رمضان المبارك/١٤٢٧ هـ

٢٦/ أيلول /٢٠٠٦ م

الرسالة الرابعة:



رسالة مفتوحة

إلى الشعب العراقي العظيم

بمناسبة الذكرى الرابعة

لاحتلال العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

يا أبناء شعبنا العظيم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ها هي الذكرى الرابعة للاحتلال الإنجلو أمريكي تمر علينا وبلادنا تسير من سيئ إلى أسوأ... فقدنا حتى هذا اليوم ما يربو على ثمانمائة ألف من أبنائنا، وطال الظلم قتلاً واعتقالاً رجالنا ونساءنا شيبنا وشبابنا حتى أطفالنا لم يسلموا من هذا الظلم.

دمرت البنى التحتية لبلادنا بنحو يزيد على ٧٠ %، لم تعد لدينا خدمات، نموت في الشتاء برداً، وتزهق أرواحنا في الصيف حراً، ونطهو طعامنا على وقود من الحطب، ويصيبنا الظمأ على الرغم من وفرة مياهنا أو نشرب ماء ملوثاً فتمرض أجسامنا.

الملايين من شعبنا هجروا، نصفهم هجرته في الداخل، تركوا بيوتهم وسكنوا في خيم أو عند آخرين متحملين الحرج وشاكين إلى المولى سبحانه سوء الحال، والنصف الآخر هجرته إلى خارج بلده ليشهد معاناة الغريب وبؤس الطريد لسنا فقراء، بلادنا غنية، لكنها اليوم تنهب. أصبحت بلادنا الأسوأ في العالم فساداً إدارياً باعتراف منظمات عالمية متخصصة، ويشهد على ذلك القريب والبعيد. وعلى الرغم من هذا كله فالمحتل ما زال يكذب، وما زال يرفع صوته من غير حياء ليقول: جئتكم بالحرية، وأعتقتكم من الظلم؟!!

نعم.. جاءنا بحرية الغاب، فاليوم المجرمون في عراقنا أحرار!! مجرمو الاحتلال من قواته وأجهزته الإستخبارية وعصاباته الإجرامية يقتلون وينهبون من غير مقاضاة أو مساءلة.

والأجهزة الحكومية التي نصبها بنفسه هي الأخرى تفعل مثل ذلك، ومن غير مساءلة أيضاً، هذه هي الحرية التي جاءونا بها، أما الظلم الذي زعموا أنهم أعتقونا منه فقد بدأ الناس يحنون إليه؛ لأن الظلم الجديد الذي وقع عليهم فاق صور الظلم كلها عند شعوب العالم.

أيها العراقيون الأكارم:

إننا ندرك حجم المعاناة التي تطالنا جميعاً، ولكن هذا هو الاحتلال لغته التدمير، وقوامه القتل وسفك الدماء.

وفي كل دول العالم كان خيارها عندما يقع عليها ظلم الاحتلال هو المقاومة، واليوم لا خيار لنا – نحن أبناء هذا البلد – في مواجهة هذا الاحتلال سوى المقاومة التي تطيح بمشاريعه، وتلقنه درساً لا ينساه، مفاده: أن الشعوب لا تقهر، وأن آلته العسكرية لا وزن لها أمام إرادة الشعوب في التحرر ولا سيما شعب العراق الأبي المسلم، فتاريخه يشهد بأصالته ورفضه للذل والهوان.

أيها السادة:

إن الله سبحانه حبانا بمقاومة مباركة صنعها أبناؤنا ورعاها المولى سبحانه برعايته، أذاقت الاحتلال الويل والثبور، ودفعت به ليتنازل عن كثير من أهدافه ومطامعه، وهو اليوم في أسوأ أحواله، تمارس عليه الضغوط من شعبه وساسته ليخرج من هذا المأزق من غير قيد أو شرط بعد أن كان قد بنى على نتائج غزوه أحلاماً وأوهاماً. وهذا كله إنما حصل بفضل الله تعالى ثم بفضل أبنائكم البررة الجنود المجهولين الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل حريتكم وإعادة الأمن والأمان والخير والخيرات إليكم، إن هؤلاء الأبناء البررة بحاجة دائماً إلى دعمكم وإسنادكم ليتموا المهمة التي شرفهم الله بها، ووضع في طريقهم إليها جنان الخلد ونوال رضاه.

أيها الإخوة الكرام:

إن هناك محاولات من المحتل وعملائه أنفقوا في سبيلها مليارات الدولارات لتشويه صورة أبنائكم في أعينكم، وإلباس مقاومتهم الطاهرة لبوس الإجرام أو الإرهاب، فتارة تصمم عمليات لقتل أبرياء لا ذنب لهم ثم يروج إعلام هؤلاء أن المقاومة هي من صنعت هذا الصنيع، وأحياناً يتمكنون بعد جهد جاهد من اختراق مجموعة تعمل في إطار مدافعة المحتل فتنفذ من العمليات ما يخدم مآربهم، نحن – في كل الأحوال- نذكركم بحديث نقل عن كبار رجال المخابرات الأمريكية، خرجوا بلحومهم وشحومهم في برنامج بثته إحدى الفضائيات العربية أكثر من مرة بعنوان (حروب السي آي أيه الخفية)، جاء فيه على لسان هؤلاء صوتاً وصورة: ((في حرب فيتنام كانت تأتينا الأوامر بقتل النساء والأطفال ورجال الأعمال لبعث الرعب في قلوب الناس))؟! هذه هي الحقيقة.

لذلك لا ينبغي أن نقع في خديعة المحتل، ونصرف جام غضبنا عنه، ونركن إلى الرضا ببقائه، فهذا ما يريده وما أنفق الأموال الطائلة من أجل الوصول إليه، ومع ذلك فإننا نوجه نصحنا لأبنائنا المقاومين - وثقتنا بهم كبيرة - أن يوحدوا صفوفهم ولا يسمحوا للخلافات أن تدب بين ظهرانيهم، وأن يسددوا رميتهم باتجاه المحتل العدو الأول للبلاد والعباد، وأن يتفقوا على برنامج واحد يتحلى بالواقعية ويلتزم بالثوابت الشرعية، وأن يتعاهدوا على صيانة حقوق العراقيين الأصلاء جميعاً من كل المكونات والأطياف، ويحولوا دون تجزئة البلد ونهب ثرواته ما استطاعوا إلى ذلك من سبيل.

أيها الأحبة الكرام:

إننا اليوم نعاني من مشاكل عديدة، وإذا أردنا أن نتجاوز الحديث عن مشكلة الاحتلال وعملائه – لأن هذا مما نتحدث عنه دائماً – فإن في مقدمة هذه المشاكل: الساسة الذين رضوا لأنفسهم الدخول في المشروع السياسي لقوات الاحتلال، وزعموا أنهم فعلوا ذلك من أجل نصرة الشعب العراقي المظلوم ورفع المعاناة عنه؟.!!

إن هؤلاء لم يقدموا شيئاً يذكر سوى إنقاذ الإدارة الأمريكية من الحرج الشديد أمام العالم، والسعي لإنجاح مشروعها، فالرئيس الأمريكي كلما توجهت إليه سهام النقد دافع عن نفسه بالقول: إن العراق يشهد مرحلة جديدة فيها حكومة منتخبة وبرلمان منتخب ودولة ذات مؤسسات؟!!! ولن نقلب المواجع عليكم لنذكركم بما اعترى العمليات الانتخابية من تزوير وهيمنة أجنبية وصولات وجولات للمحتل وعملائه من الأحزاب والميليشيات في تقرير نتائجها، فأنتم الأكثر معرفة بحيثياتها وتفاصيلها، لكن ما نريد أن نذكركم به هو الأداء السيئ لهؤلاء الساسة والبرلمانيين، فعلى مستوى الحكومات يمكن القول: إن ما جناه العراقيون في ظلها أنهم فقدوا من أبنائهم عشرات الآلاف بين قتيل أو مفقود على يد القوات الأمنية للحكومة من "حرس وطني" أو شرطة أو ميليشيات تابعة لها، وفي مقدمة من فقدوه علماء دين مخلصون وساسة متميزون وقادة عسكريون ووجهاء وشيوخ عشائر وأطباء ومهندسون وكوادر علمية أخرى نادرة في تخصصاتها، أو معتقل في سجون هؤلاء جميعاً – فلكلٍّ سجونه الخاصة – يعذب فيها الناس بشتى ألوان العذاب، ولقد سلكت الأجهزة الأمنية للحكومات والميليشيات التابعة لها أساليب في التعذيب ربما لا تخطر على بال الشيطان نفسه مثل غرس المثاقب الكهربائية في الأجساد أو كيّ المعتقلين بالمكواة أو غمسهم في أحواض التيزاب أو شدّ الأكف بمسامير الحديد إلى الجدران أو رضخ الرؤوس بين كتل الحديد، هذا عدا جرائم الاغتصاب التي طالت النساء والرجال معاً والصغار والكبار في غياب كامل لأدنى الاعتبارات الخلقية التي يتحلى بها الإنسان السوي، كما جنى العراقيون خلال هذه الحكومات التأجيج الطائفي المخطط له بخبث ودهاء، والتهجير القسري، وانتشار المخدرات، وعصابات المافيا، والاتجار بالأطفال، وغير ذلك مما يصعب حصره، وفي الآونة الأخيرة طلعوا علينا بما يسمى "الخطة الأمنية" التي طالت آلافاً من الأبرياء بالقتل والاعتقال ظلماً وعدواناً، وبلغ الطائفيون – من خلالها – أهدافاً عجزوا عن الوصول إليها من دون هذه الخطة. وعلى مستوى البرلمان فإننا إذا تجاوزنا الحديث عن صمته إزاء كل هذه الجرائم وكأن الأمر لا يعنيه نجده – باستثناء نفر قليل منه– متوجهاً إلى تحقيق أهداف لا علاقة لها بالمصالح الوطنية من قريب أو بعيد! فبدل أن يجهد أعضاؤه في تحسين أوضاعكم المعاشية التي ازدادت في عهدهم سوءاً، وبدل أن ينشغلوا في تحسين الأمن الذي ازداد انهياراً في ظلهم صرفوا جهودهم في خدمة مشاريع المحتل، فمرروا الدستور كما أراد وفق الصياغات الأساسية التي وضعها بنفسه، وأعانوه على تمرير مشروع الفدراليات الذي يضعف بلدنا

على نحو يحقق له أهدافه في الهيمنة عليه، واليوم يراد منهم تمرير ما وضعه المحتل من قانون للنفط والغاز يعيد ثروات البلاد إلى قبضة شركاته الاحتكارية.

فماذا سيفعلون يا ترى؟!

نتمنى جميعاً أن يقفوا – ولو لمرة واحدة – ضد مشاريع المحتل، ويحافظوا على ثروة الأجيال والعمود الفقري لقوة العراق وسلامة مستقبله.

أيها السادة الأفاضل:

إننا نعلم أن هناك وضعاً في ميدان المنازلة على أرضنا هو بالتالي من سيحسم هذه القضايا وغيرها، فإما أن ينتصر المحتل ويقهر إرادة الشعب، وحينئذ ستنفذ مشاريعه كلها بغض النظر عن موقف الساسة والبرلمان! وإما أن ينتصر الشعب ويمسك بزمام الأمور أبناؤه البواسل، وحينئذ لا قيمة لهذا القانون ولا لغيره وإن صادق عليه الساسة وأعضاء البرلمان بالإجماع.. إن الاحتلال يوم يخرج صاغراً مدحوراً تخرج معه كل مشاريعه وقوانينه وحتى رجاله وعملائه، لكن المقلق بالنسبة لنا أن يقوم عراقيون – يزعمون أنهم من تربة هذا البلد – بدعم المحتل على أرضهم، وتمرير مشاريع له من شأنها سلب خيراتهم ومقدراتهم، هؤلاء ألا يخشون موقفاً بين يدي الله سبحانه يحاسبهم فيه على ما فرطوا به من نعمة لصالح أعدائه؟! ألا يخشون مساءلة الشعب لهم؟!

أيها السادةالكرام:

إننا على أبواب النصر العظيم، وقد بذل العراقيون الأصلاء في سبيله تضحيات جساماً، واليوم يجمع ساسة العالم على أن المشروع الأمريكي قد فشل في العراق، فلنحافظ على هذا الإنجاز بشيء من الصبر والتحدي، ولنحذر أن ننقذ المحتل – وهو يلفظ أنفاسه – من خلال تقديم أي دعم من شأنه أن يعيد له الأمل في البقاء، وإن أعظم دعم له أن نتخلى عن نصرة مقاومتنا أو نسمح لمن هب ودب أن ينال منها أو ندفعها إلى مشاكل داخلية تثنيها عن تحقيق هدفها العظيم.

نسأل الله سبحانه أن يهبنا النصر العظيم، ويلحق بأعدائنا الخزي العظيم، وأن يعيد إلينا بلدنا سالماً معافى رخياً مطمئناً مدفوعاً عنه كل كرب وبلاء.. وسائر بلاد المسلمين.

آمين... اللهم آمين.

الأمانة العامة

٢٩/ صفر ١٤٢٨ هـ

٢٠٠٧/٣/١٩ م

الرسالة الخامسة:



رسالة مفتوحة

إلى السادة ملوك ورؤساء

وأمراء الدول العربية

المجتمعين في مؤتمر القمة بالرياض



بسم الله الرحمن الرحيم

السادة ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في لقاء القمة المرتقب في الرياض ستجتمعون للتباحث بشأن قضايا عديدة تستأثر باهتمامكم، وفي مقدمتها قضية العراق، والناس - ولاسيما أصحاب هذه القضية - يتجاذبهم في النظر إليكم شعوران، شعور أمل بالحل، وشعور خوف من الإخفاق، ومن هنا كان من الضرورة بمكان أن نتحدث إليكم عبر رسالة مفتوحة بعد أن مكننا الله عز وجل من الحديث إلى معظمكم شفاهاً.

السادة المحترمون:

إن ما يجري في العراق شيء يجل عن الوصف، فالحرب التي اشتعلت فيه أكلت مئات الآلاف من البشر، وأنهت البنية التحتية لسبع وعشرين مليون نسمة، وأتت على عوامل الأمن والاستقرار، وأحالت البلد - الذي كان بعضكم ينظر إليه بإعجاب لحسن مواقفه في الدفاع عن القضايا العربية وشجاعته- يباباً وخراباً، لا نريد أن نعود إلى الماضي لنستذكر من وقف مع العراق ومن وقف ضده وما وراء هذا وذاك من دوافع وأهداف، فهذا الاستذكار لن ينفعنا بشيء، ولكننا نريد أن نتطلع إلى المستقبل، إن بمقدوركم أيها السادة الأفاضل أن تعينونا في بناء مستقبل آمن وبلد مزدهر ينسينا الماضي كله.

إننا في كل الأحوال جزء من عالمكم، والغصن -كما يقول المثل- من الشجرة وإن مال، فليس بنافع أن تتركونا نلاقي مصيرنا وحدنا؛ لأن ما يطرأ علينا من خير أو شر يمسكم في بلدانكم بالمحصلة، إن قسمنا الأعداء فالقسمة مقبلة عليها أو أضعفونا فالضعف قادم إليها أو تركونا وشأننا نبني بلدنا ونعمر أرضنا ونحقق أمننا فسيكون لذلك كله آثار إيجابية عليها، وأنتم بذلك أعرف منا؛ لأنكم قادة خبروا الواقع، وأحاطوا بكل تفاصيله.

أيها السادة الأفاضل:

لا نكتمكم.. أننا بقدر ما نعقد على قمتكم من آمال خائفون منها، إن الحلول التي تتجاهل المشاكل الأساسية لقضيتنا، وتكتفي بمعالجة مظاهر الأزمات على طريقة الإدارة بالكوارث لن تكون حلولاً، بل إنها ستزيد الأزمة أزمات، والمشكلة مشكلات، إن أي حل يتجاهل خروج المحتل من أرضنا لن يوقف آلة

الموت على أرضنا، ولا يحول دون انسكاب المزيد من دمائنا، إن أي حل يتجاهل إلغاء العملية السياسية، وما تمخض عنها من مكتسبات غير شرعية لن يأتي بجديد نافع، لقد مضت أربع سنوات والدعم متواصل لهذه العمليات السياسية من دول عظمى وصغرى ومنظمات ومؤسسات عالمية نعجز في هذه الرسالة عن إحصائها، فما الذي جنيناه؟! ألم يحن الوقت لنتساءل لماذا هذا الإخفاق؟!، ولو فعلنا لم نحر في معرفة الجواب.

إن الشعوب الحرة ترفض قيود الاستعباد، وإن الاحتلال استعباد، وعملياته السياسية - المتخذة غطاء لتكريس وجوده وتمرير مشاريعه - هي الأخرى استعباد، وإذاً لا فائدة من مواصلة الدعم لجسد يحتضر مشرف على الوفاة، وهذه المعلومة ليست خافية عليكم، فشعوبكم كلها كانت تحت نير الاستعمار، وقاومت حتى نالت استقلالها، فلا تنتظروا من أبناء العراق أن يهدأوا وعلى أرضهم محتل واحد.

أيها السادة:

نحن نعلم أن ضغوطاً كبيرة تعترض طريقكم، وأنكم في مواقع من المسؤولية لا تحسدون عليها، وكان الله في عونكم، لكننا نعلم في الوقت ذاته إن إراداتكم إذا اجتمعت، ومواقفكم إذا اتحدت فإنها قادرة على أن تفعل الكثير الكثير، والاحتلال - بالتالي- ليس إلهاً حتى يستحيل نقض أمره أو يسمح له أن يتحكم بمصائر الشعوب قتلاً وفتكاً من غير رادع.

إننا ننتظر مواقفكم الشجاعة لتنقذوا ما تبقى، وأن أبناء العراق اتخذوا قرار المقاومة وهم ماضون فيه حتى النهاية، ولديهم يقين أنهم قريبون من التحرير، ولكنهم يريدون أن يجدوا فيكم من يشاطره همه، ويعينه على تحقيق هدفه، فنحن بالتالي بيت واحد، ولابد من أن نعمل معاً على إرساء دعائم السلام في العالم، ومنع شراهة بعض الدول في استباحة دماء الشعوب، ويوم تفهم الدول العظمى هذه الحقائق منكم، وتجد من يدلها على الطريق من بينكم؛ فإنها ستضطر إلى التنازل واستبدال منطق القوة بالتفاهم مع الشعوب التي تحتلها.

السادة الأفاضل:

إن كل ما قلناه عن الشأن العراقي يصدق بالضرورة على فلسطين السليبة، ولبنان الحبيب، والصومال الجريح.

شكراً لكم.. وسدد الله خطاكم.. ووفقكم لما فيه خير الأمة.. ونفع العباد.

الأمانة العامة

٧/ربيع الأول/ ١٤٢٨هـ

٢٠٠٧/٣/٢٦م

الرسالة السادسة:



رسالة مفتوحة

إلى إخواننا وأهلنا في جنوب العراق ووسطه



بسم الله الرحمن الرحيم

أهلنا وإخواننا في جنوب العراق ووسطه من محبي آل البيت رضوان الله عليهم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بـــدأناكم بهذا الوصف ونحن جميعاً نحب آل البيت، ونعد ذلك جزءاً من الدين، وقد فعلنا ذلك؛ لأنكـــم تحبون إطلاق هذا الوصف عليكم، ولأننا نريد أن نذكركم بأخلاق آل البيت في الحرص على دين الله، ووحدة صف المسلمين، وتفويت الفرص على أعداء الله في استغلالهم لبث الفتن وإشاعة الظلم.

نذكركم بذلك في هذا الوقت العصيب الذي نمر به جميعاً، ويراد لنا فيه أن نوقد بيننا ناراً داخلية لا تبقي ولا تذر إلا ما ينفع العدو، ويستجلب المصالح لعملائه.

أيها الإخوة الأفاضل

إن هناك دعوة لكم إلى الزحف جموعاً من محافظات شتى نحو مدينة سامراء بذريعة زيارة المرقدين الطاهرين فيها اللذين تعرضا لاعتداءين آثمين فصلت بينهما سنة بكل همومها وأوزارها، وفي الوقت الذي نؤكد فيه أن العراق من شماله إلى جنوبه وطن لجميع أبنائه على اختلاف مكوناتهم، وأن من حق من شاء منهم أن يتجول حيث يشاء من أرض الوطن الحبيب؛ إلا أن المحتل قد حال بيننا وبينكم في ممارسة هذا الحق مع الأسى الممض، لذا فإننا ننبهكم على أن هذه الخطوة في هذا الظرف ليست مناسبة، وأن خطورتها لا تخفى على أحد، وأن الأهداف التي تقف وراءها أهداف خطيرة، فثمة من يستغل مشاعركم وحبكم لآل بيت رسول الله ليحقق بكم أهدافه في تمزيق الوطن ودق إسفين بين مكوناته لا يزول أبداً إلا أن يشاء الله.

لقد بدا أن من يقف وراء تفجير المرقدين في سامراء هي جهات في أجهزة الحكومة التي تزعم أنها حريصة على هذه الأماكن الطاهرة، وبدا للقاصي والداني أنها ليست كذلك، بل هي حريصة على مصالحها، وأنها على استعداد لتفرط بكل مقدسات المسلمين من أجل هذه المصالح حتى بدأنا نتيقن أن الكعبة المشرفة لو كانت في العراق وظن هؤلاء أن لهم مصلحة في هدمها لم يتورعوا عن ذلك بتاتاً.. إن هذه الجهات تسعى اليوم – بكل ما أوتيت من حيلة وقوة وهبها لها المحتل – لإيقاد الفتنة بأي ثمن، فهو سبيلها الوحيد للبقاء في السلطة وإرضاء أسيادها المحتلين ومن ارتبطت معهم بأجندة من الطامعين في العراق والساعين لتمزيقه، وبعد أن فشلت في إشعال هذه الفتنة بتفجير المرقدين ثم بتفجير مئات المساجد على أيدي أجهزتها

الأمنية والميليشيات التابعة لها وفق مخطط معد لهذا الغرض تحاول هذه المرة أن تجرب حظها الأخير في هذا الميدان المنتن من خلال دفعكم إلى المشاركة في تظاهرة كبيرة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب!؟ إن هذه الجهات تعلم أن تظاهركم في هذا الوقت وعلى هذا النحو سيثير حفيظة أهالي مدينة سامراء، وسينظرون إليه على أنه غزو لمناطقهم، وبالتالي فلن تتورع هذه الجهات التي تدفعكم إلى التظاهر – بحسب ما مر بنا من تجارب – عن أن تستهدفكم بنفسها، وتزعم أن أهالي المدينة هم من فعلوا ذلك، وقد تستهدفكم أثناء الطريق، وتقول إن الطائفة الفلانية هي من فعل ذلك، تذكروا أن هؤلاء فجروا المساجد ومراقد الأئمة، فهم خربو الذمة، ومن تهُـن عليه هذه الأماكن تهُـن عليه حياة الإنسان، كما نخشى أن يتهور بعض من لا يحسن تقدير العواقب فيتورط هو الآخر من حيث لا يدري في إنجاح مخطط الفتنة البغيض، إننا نناشدكم بالله تعالى ثم بالرحم الذي بيننا أن تتركوا هذه التظاهرة الآن من أجل وطنكم، ومن أجل وحدته، ومن أجل معاني السلام، نحن نعلم أن لكم حرصاً على إعادة بناء المرقدين، ونحن لدينا الحرص ذاته، لكن في ظل وجود الاحتلال الذي يتربص بنا الدوائر، وفرق الموت التي تعمل ليل نهار من أجل إثاره النعرات الطائفية، والميليشيات التي يدفعها ساستها إلى تعبيد طريق السلطة بدماء الناس وجماجم الأبرياء، لن يكون ثمة بناء، ولن يسلم – إن قدر له أن يتم – من التخريب مرة أخرى؛ لأن البلد ليس بيد أهله، فالمحتل هو الذي يمسك بخيوط اللعبة، وهو الذي يسعى لإيقاد الفتنة، وسيكون من النافع له أن يستهدف البناء مرة أخرى، ولن يكون ذلك صعباً عليه بعد أن بدا للعالم كله أن الأجهزة الأمنية – التي يفترض فيها أن تكون حامية لهذه المقدسات– هي من يقف وراء تفجيرها خدمة لهذا المحتل ولعملائه الذين رضوا به ناصراً ومعيناً.

لقد استغلت الميليشيات حدث التفجير الذي طال المرقدين في المرة الأولى والمرة الثانية فهدمت ما يقرب من ثلاثمائة مسجد في عموم أنحاء العراق، وقتلت عشرات الآلاف من الأبرياء وعدداً كبيراً من علماء الدين وأئمة المساجد وخطبائها.. والمساجد بيوت الله، وهي مأوى عباده ومعتكف أحبابه، ومنهم آل البيت الأطهار، ومع ذلك دعونا إلى ضبط النفس وتحمل الصدمة، وحين طلب منا إعادة إعمارها، قلنا: إن الوقت ليس مناسباً الآن، فقد يهدم ما يبنى منها، فيكون مدعاة للفتنة مرة أخرى.

وهكذا نحب أن تنظروا إلى الأحداث، وتستشرفوا ما وراءها من أهداف حتى لا تقعوا في الفخاخ التي تنصب لكم على قارعة الطريق.. إن الله أودع فيكم عقولاً وإرادة فنرجو أن تتأملوا العواقب لأي فعل تقدمون عليه مما يدبره المحتل لكم، ودعوا العواطف جانباً والانقياد الكامل لكل ما يطلب منكم، فلربما يجهل من دعاكم إلى ذلك عظم ما وراء هذه الخطوة من كيد لنا ولكم ولسائر العراقيين، إننا نأمل أن تستمعوا إلينا، وتلبوا مناشدتنا، وأن تتحلوا بالصبر الجميل قليلاً حتى يأذن الله لليل الاحتلال بالزوال، ولشمس الحرية

والاستقلال بالبزوغ، وحينها - وليس هذا الحين ببعيد - سنعيد معاً بناء بيوت الله، ونعمر معاً مراقد الأئمة الأطهار والصحابة الأخيار على نحو أجمل وأكثر بهاء وفي وقت أوفر أماناً : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الروم: (٤ — ٥).

الأمانة العامة

١٠جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ

٢٠٠٧/٦/٢٥ م

الرسالة السابعة:



رسالة مفتوحة

من هيئة علماء المسلمين في العراق

إلى المجاهدين في العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ محمد: (٧)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإننا نخاطب في هذه الرسالة المفتوحة من كنا ننتظر الفرصة المناسبة لمخاطبتهم، ويحدونا الشوق للحديث معهم، فهم قرة العين، وتاج الرأس، ودرة البلاد..

نخاطب من كانوا للدين الذي ارتضاه الله لنا، وأعلى به قدرنا، جنوداً أوفياء، وكانوا للبلد الطيب الذي أقامنا الله فيه أبناء بررة، فهم حماة الأرض والعرض.

يا من غسلتم عنا عار احتلال بغداد، ويا من رفعتم رؤوسنا عالياً، ويا من لقنتم أعداء الدين والإنسانية دروساً في التضحية والفداء، والصبر على البأس، لن ينسوها عبر التاريخ.

لقد تجلى فيكم قبس من معاني قول الله عز وجل:

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: (٥٤).

يا أبناءنا ويا إخواننا الصابرين المحتسبين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

منذ بداية الاحتلال ومع انطلاقة جهادكم المبارك، كنا ندرك ثقل المهمة التي قررتم حملها على عاتقكم، فأنتم في صراع مع دولة عظمى، غزت قبلنا دولاً عديدة، وتمتلك من الخبرات في تأسيس حكومات على أمزجتها، واحتواء ما يبدو من مقاومة لها، وأموال توظف لخدمة أهدافها، ما لا يملكه أحد في العالم.

كان المحتل قد أعد لكل شيء عدته، فاصطحب معه آلافاً من الشركات الأمنية، وفِرَق الموت، وجيشاً من الساسة والعملاء؛ لتوظيفهم في سبيل دعم قواته العسكرية البرية والجوية والبحرية، وعدتها المتفوقة بكل المعايير، من أجل الوصول إلى هدفه في احتلال العالم الإسلامي في عقر داره، فضلاً عن آلته الإعلامية الضخمة، التي لم تنقطع منذ أمد طويل قبل الاحتلال وحتى اللحظة من أجل تهيئة العالم للقبول بالوضع الجديد على أرض العراق.

أدركنا في هيئة علماء المسلمين خطورة الحدث، فبدأنا طريقنا، بتعبئة الناس ضد الاحتلال، وإحياء مفاهيم الجهاد وقيم المقاومة في النفوس. وليس سراً القول: إننا كنا وراء الإعداد والتخطيط والحشد، وضمن دائرة المشاركة، في التظاهرة الأولى التي قادها علماء الشريعة ضد الاحتلال في العاصمة بغداد، وفي قلبها

السـنابض: الأعظمية، في الجمعة الثانية بعد الاحتلال بتاريخ ١٦/صفر/١٤٢٤هـ الموافق ١٨/٤/٢٠٠٣م، وكـذلك في مديـنة الفلوجة المباركة التي قادها العلماء أيضاً بتاريخ ٢٨/صفر/١٤٢٤هـ الموافق٣٠/٤/٢٠٠٣م، وسقط فيها عدد من الشهداء، وكانت الجذوة التي انطلق منها الجهاد في تلك الديار.

أمـا أبـناء شعبنا، فحالهم آنذاك يرثى لها، فقد أصيبوا بما يشبه الدوار، ونالت منهم الصدمة كل منال، و لم يكن يخطر في بال أحدهم أن يرى يوماً ما على أرضه دبابةً أمريكيةً، أو جندياً محتلاً.

كمـا أنَّ المسلسل التخريبي لبلادهم الذي أعقب احتلال بغداد، وأتقن المحتل فصوله، والذي طال مؤسساهم، ومعالم مدهم، على أيدي مخربين، وبعض الغوغاء من أبناء بلدهم ــ عبدت لهم الطريق إلى هذا التخـريب بخبث ودهاء ــ جعلهم في حيرة من أمرهم، وزاد الطين بلة أنَّ جزءاً منهم، طلبت منهم مراجع لهم يثقون فيها التزام الحياد، وإمهال قوات الاحتلال شهوراً، قبل حمل أي سلاح في وجوههم، وخلال هذه الشهور تمكن الاحتلال من مناطقهم وانتشرت الأجهزة الأمنية والميليشيات في مدهم، وتمت السيطرة عليهم على نحو ضيق عليهم فرص الجهاد والمقاومة.

وجزءاً آخر منهم كان خاضعاً لهيمنة أحزاب مستبدة تمكنت لعقد مضى من الانفراد به، وإحكام السـيطرة عليه، واستغلال مظلمته للابتعاد عن هذا الشرف العظيم، مما جعل فرص المقاومة بالنسبة له أكثر ضيقاً من الأولين، وعلى الرغم من ذلك، كان لكل جزء منهما، نشاطات مقاومة هنا وهناك، لكنها – على العمـوم – أشـبه بالمبادرات المحدودة، تقف وراءها دوافع شتى، ومع ذلك يلزمنا – إذا أردنا الحفاظ على وحدة العراق – أن نعمل على إنمائها، وتصحيح مسارها، ودعمها بالموقف والكلمة.

أما أنتم أيها الأسود الأشاوس فقد مَنَّ الله عليكم منذ بدء الاحتلال لتكونوا أصحاب زمام المبادرة في الجهـاد والمقاومة، وفي طليعة هذا الركب الميمون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهـو أمـر يستلزم الشكر لله سبحانه، والتواضع، والشعور بالمسؤولية، ليس إلا، وكان الله في عونكم.. فالمهمة التي وطنتم أنفسكم لها صعبة للغاية، والتحديات التي كانت – ومازالت – تعترض سبيلكم كبيرة، والمعركة في الميدان ضروس، والتخذيل والإرجاف محيط بكم كما يحيط السوار بالمعصم.

تبذلون نفوسكم رخيصة في سبيل الله، وتنفقون أموالكم ومقتنياتكم، وتفارقون أهليكم وأبناءكم، من أجل إعلاء كلمته، وتحرير الأرض والعرض من الغاصبين، وبدل أن توجه إليكم كلمات الدعم والتأييد مـن الجمـيع، ينهال المرجفون عليكم بشتى التهم، ويتآمر عليكم المبطلون بشتى الوسائل: قوات الاحتلال وأجهـزتها السرية ضدكم، والحكومة وأجهزتها العسكرية والأمنية والإعلامية ضدكم، والميليشيات الطائفية ضـدكم، وبعض دول الجوار ضدكم، وبعض أبناء جلدتكم ضدكم، ولكنكم – بفضل الله – صامدون لم تفتـر لكـم عزيمة، و لم يلن لكم جانب، وماضون في تسديد الضربات الموجعة للعدو.. حتى طفق الترنح

والــدوار ينالان منه، ويقربانه من الهزيمة، من دون أن ينال الإرجاف من عزمكم، وهذا - لعمر الله - شأن الرجال الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾الأحزاب: (٢٣).

أيها الأبطال الأشداء:

لا يشغلن بالكم ما يظهره المحتل من جلادة، وما يطلقه من مزاعم للبقاء طويلاً، فهذه مظاهر كاذبة، قــوامها التمويه، والتسلي بالأماني، والحقيقة أنه في ظرف مرٍ، وواقع أليم، فخيبة الأمل تملأ جوفه، والرعب يــسكن جــوانحه، والموت يأتيه من كل جانب وما هو بميت، وهو اليوم ليس له من همٍّ سوى البحث عن وسيلة تيسر له الفرار بأقل قدرٍ من الخسائر،فلم يعد يحتمل منها المزيد.

فاســتعدوا للحظــة النصر، التي تحبونها﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾الصف: (١٣)، ولكن.. وهنا نلفت نظركم الكريم إلى قضية مهمة، وهي: إنَّ حركات الجهاد والمقاومة في عالمنا الإسلامي كثيراً ما تنجح في تحقــيق النــصر علــى أعدائها، بيد أنها - في الغالب - تفشل في التمكين لأهدافها بعد الصراع.. فهل حسبتم لذلك حساباً؟ هذا السؤال مهم للغاية، وقد آن الأوان لتضعوه نصب أعينكم.

دائمــاً كــنا نقــول لمن يشكو ما ينــزل على العراقيين من البلاء، إنَّ هذا زائل حتماً، فوجود الاحتلال في أرضنا من شأنه أن يوحد الجهود، ويفضي بالمحصلة إلى التحرير، ولكن السؤال الصعب - هكذا كنا نقول له- ماذا بعد ؟ ماذا بعد خروج المحتل ؟!

إنَّ الخوف من المجهول يكمنُ هنا.. والقلق يرد من هذا الموطن!! وما لم تفكروا في تلك المرحلة من الآن، وتعــدوا لها العدة، وتبكروا في الاتفاق عليها، فقد تفاجؤون بحصادٍ مر، يجعل شعبنا يحن إلى مثل هذه الأيام، على الرغم من مرارتها، إذا ما واجه أياماً أكثر مرارة، لا من حيث وجود الاحتلال، ولكن من حيث حــصول الفرقة والاختصام، والتردي في جوانب الحياة كافة، تماماً كما تلاحظون هذا الشعب بدأ يحن إلى أيام النظام السابق، على الرغم من أنها لم تكن أيام سلام ورفاه.

إذا لم تفعلــوا ما تقتضيه المعالجة منكم لتلك المرحلة، فإنَّ ثمة عدة مآلات ستنتهي إليها الأحوال، عليكم التفكير فيها بجدية، وعدم إهمالها، ومنها مآلان، هما في غاية الخطورة:

الأول: أن يقطف ثمرة الجهاد والمقاومة غير أصحابها الشرعيين: إنَّ المحتل قد يخرج من الباب بفعل الجهــاد والمقاومــة، لكنه من الممكن أن يعود من الشباك، بفعل من سيخلفه في إدارة البلاد، وهو من دون شــك حين يقرر المغادرة، يهيئ البديل، والبديل الذي يقع عليه اختيار المحتل يكون عميلاً لا محالة، ليحقق لأســياده، مــا عجزوا عن تحقيقه بأنفسهم من خلال الحرب.. ومن دون شك فإنَّ العميل القادم إذا تسلم السلطة فستكون من أولوياته ضرب عناصر الجهاد والمقاومة، وتصفية هذا التوجه الحيوي لها في رفض المحتل، ولعموم أبناء الشعب.

وهـــا هـــو ذا المحتل - اليوم - على أبواب لعبة سياسية جديدة، يحاول من خلالها استبعاد وجوه، وتقريب أخرى، في حركة يائسة منه، لتحقيق شيء مما عجز عن تحقيقه طيلة الفترة الماضية.

فالحذر الحذر من إن تفتنكم بهذا الصدد عروض، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة: (١٦).

الثاني: الاقتتال بين الفصائل: وهذا احتمال وارد للغاية، إذا لم يكن للفصائل برنامج موحد، لا ينبغـــي أن ننـــسى تجـــربة المجاهدين الأفغان، وهذا لو حدث - نسأل الله السلامة- فإنَّ تداعياته ستكون جسيمة للغاية.. فمن جهة ستفقد الأمة الثقة بأبنائها، وربما يتطور الأمر إلى اهتزاز الثقة بأمر دينها.

لنسأل أنفسنا كم أُحبِطنا عندما تحوَّل الجهاد الأفغاني إلى اقتتال داخلي في مرحلة ما بعد تحرير أفغانستان؟! هذا يمكن أن يتكرر - وعلى نحو أشد- إذا تكرر الخطأ في العراق!!.

فالعراق ليس متطرفاً في المكان الجغرافي مثل أفغانستان، والمعركة فيه حظيت بتغطية إعلامية أكثر بما لا يقاس مما حظيت به المعركة الأفغانية، وبالتالي فإنَّ التفاصيل التي ستعقب الانتصار، سيطلع عليها الجميع، وعلـــى نحو أكثر سعة وشمولاً، فإذا كانت - حينها - محبطة، وكاشفة عن نزاع داخلي، وصراع دموي، فمـــن الممكن - والحالة هذه- أن ينقلب أهل الجهاد في نظر الناس من حماة للبلاد، يفتخر الناس ببطولاتهم إلى محاربين هواة، غايتهم الاستحواذ على السلطة، وبناء مجد لهم على الجماجم والدماء.

ولا ننـــسى أن المحتل أنفق كثيراً من الأموال والجهود في سبيل شق صف المقاومين المجاهدين، ولم ييأس بعد.

ولا نكتمكم القول: إنَّ ثمة بوادر مقلقة بهذا الشأن -للأسف الشديد- تأتي بمثابة طوق نجاة للعدو، ففـــي الـــوقت الـــذي يبدو فيه الرئيس الأمريكي أحوج ما يكون إلى إقناع الكونغرس الأمريكي والشعب الأمريكي ودول العالم بضرورة بقاء قواته في العراق، تلوح في الأفق مثل هذه البوادر المقلقة.

إن نـــزاعاً مـــن هـــذا القبيل سيكون - حتماً - طوق النجاة المنشود بالنسبة له، سيقول الرئيس الأمريكـــي لمعارضيه: لقد نجحنا في معركتنا مع أعدائنا، فالانشقاق طفق يدب في صفوفهم، امنحونا بعض الوقت، لننهي وجودهم!!.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾البقرة: (٢١٧).

لذا نصيحتنا لكم ألا تقعوا في هذا الفخ، وقد منَّ الله عليكم بتجاوزه سنوات، لا سيما أنكم على أبـــواب النصر العظيم بإذن الله.. يجب أن تعملوا على احتواء أي خلاف بينكم بسرعة البرق، وأن تتساموا

على الجراح، وإن اقتضى ذلك أن تتجرعوا شيئاً من المرارة، لأنَّ الهزيمة أمام المحتل بعد كل هذه التضحيات، ستكون بمنـزلة السم الذي سيصيب منا جميعاً مقتلاً واحداً.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ الأنفال: (٤٥).

إنَّ التوتر الملحوظ هذه الأيام في العمل الجهادي بين الفصائل، متوقع وليس مفاجئاً، وله أسباب، منها: أن المحتل - وقد قرر الخروج من العراق- لا يريد أن يخلفه مشروع جهادي ناجح، بل يسعى بما يملك من مكر ودهاء إلى دس بذور الفتنة بين الفصائل، إلى الحد الذي يبدون فيه أمام الناس أصحاب أهواء وأطماع ليس إلا، ومع حجم الأموال التي أنفقها المحتل في هذه السبيل، وإحداث الاختراقات في بعض الصفوف، وما جبلت عليه بعض النفوس من ضعف، وما يعتريها أحياناً من أثرة وأنانية، فإننا كنا نتوقع مثل هذا التوتر، وأحياناً الصراع.

وفي كل الأحوال يجب أن تتذكروا أنَّ الله سبحانه لن يبارك يداً - تقول إنها مجاهدة- تمتد لتريق دم مجاهد آخر، أو تصده عن المضي قدماً في سبيله، أو تسعى لاستغلال جهاده لمآرب من شأنها بث الفرقة في الصفوف، وإضعاف حال الجهاد.

ويجب أن تتذكروا - في الوقت ذاته - أنَّ الذي لا يُقبلُ - تحت أية ذريعة - هو الاستعانة بالكافر المحتل على أخ لكم في الطريق، مهما فحش خطؤه، فهذا الداء الذي لا دواء له، والعلة القاصمة للظهور، التي تأتي الهزيمة من قبلها.. فإياكم وإياكم.. قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ آل عمران: (١٠٠-١٠١).

ومن جهة أخرى إذا حدث مثل هذا النـزاع - عافانا الله وإياكم - فإننا سنمنى بخسارة معنوية فادحة، تتجلى في فقداننا الإحساس بنشوة النصر العظيم في معركة فاصلة - كهذه - يندر وقوعها عبر التاريخ، وهذا يجر إلى أن نفقد الرصيد التربوي والأخلاقي الذي يمكن أن نحصل عليه جراء النصر في هذه المعركة، والذي نعول عليه في تربية أجيالنا القادمة على الثقة بالنفس، والاعتزاز بالتاريخ، والتحلي بروح المثابرة والإقدام.

نحن إلى اليوم نربي أجيالنا على بطولات الصحابة الأجلاء، وآل البيت الأطهار، أمثال سادتنا عمر الفاروق وعلي الكرار وجعفر الطيار، وسيف الله خالد بن الوليد، وبطل القادسية سعد بن أبي وقاص وغيرهم ﷺ، فنروي قصصهم في الجهاد والفداء، للصغير والكبير، والنساء والرجال، فنشحذ الهمم، ونشد القلوب نحو السماء.

ويجب الإقرار – من غير مجاملة – بأنَّ ما قدمه المجاهدون المقاومون من بطولات في معركتنا هذه، لا يقل شأناً عما قدمه الجيل الأول، وإذا انتهت الأمور على خير، و لم ينـــزلق أهل الجهاد في الفتنة، فإنَّ أبناء هذا البلد، والمسلمين بشكل عام سيظلون يستذكرون هذه البطولات بكثير من الفخر والاعتزاز، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، يستمدون منها العزم، ويستنبطون من قصصها دروساً عظيمةً في التربية والسلوك، يتعاهدون أبناءهم عليها، ويغذون أجيالهم بمعانيها، وهذا – في تقديرنا – ما يسعى العدو إلى تفويت خيره علينا.

وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى التنويه بالحل الذي يقيكم الوقوع في مثل هذه الفخاخ، والذي ينبغي – في تقديرنا – أن يتخذ على عجل، وقبل فوات الأوان، ويتلخص في ضرورة العمل بشكل جماعي متناغم علـــى تشكيل رؤية متفقة في تحديد معالم المستقبل للعراق، وأن يعلم كل فصيل أنه لوحده لن يكون قادراً على رسم هذا المستقبل، والانفراد بصياغته على أرض الواقع، فالوضع في بلدنا معقد للغاية، ويحتاج الخروج من مأزقه إلى جهود كبيرة، وهذا لن يتأتى إلا بتوحيد القوى، وتركيز العمل، ومن ظن أنه لوحده يستطيع أن ينجز هذا العمل فهو واهم للغاية!.

أيها الفضلاء .. أيها الأحباب:

إنَّ المـــرحلة الـــتي تمرون بها من الخطورة بمكان، فالمحتلون على وشك الخروج والهزيمة له – كما أســـلفنا – مقبلة لا محالة، بحول الله وقوته، ومثلما امتحنت الإدارة الأمريكية في رسم سياسة ناجحة للبلاد بعـــد احتلالها له، وفشلت في ذلك فشلاً ذريعاً لأسباب عديدة، في مقدمتها جهادكم وتضحياتكم، فإنكم ستتعرضون للامتحان ذاته، وعليكم أن تكونوا بمستوى المسؤولية، وترسموا للبلاد سياسة مستقبلية ناجحة.

وليس الأمر بالهين، كما قد يخطر في بال بعض من لم يخبر هذا الميدان، بل إنَّ بينكم وبين الوصول إلى ذلـــك الهدف عقبات؛ فأنتم بحاجة أولاً: إلى أن تتفقوا على برنامج سياسي موحد، ترسمون من خلاله مـــستقبل هذا البلد الذي وثق أهله بكم، وعقدوا من أجل الخلاص من المأزق الذي هم فيه آمالاً عليكم.. ونؤكد على ضرورة الاتفاق لأنه أول الطريق إلى النجاح.

ونحن حين نتابع أطروحاتكم نجد أن لديكم برامج واضحة، ولكن هناك خلافاً في الرؤية حول ما ينبغي أن يكون عليه مستقبل العراق.

فـــبعض الفصائل فيكم تتبنى مشروع الخلافة العظمى.. وثمة فصائل تريد للعراق حكما إسلامياً، وتقتـــصر طموحاتهم على فعل ذلك داخل حدود بلدهم.. وثمة فصائل أخرى تعتمد الخيار الذي يسعى إلى تأســـيس دولة مؤسسات حديثة، يكون الإسلام فيها الدين الرسمي للدولة، والمصدر الأساسي للتشريع، ولا يسن قانون يخالف ثوابته، وتكون هذه البداية لتحقيق الطموح.

هـذا الخـلاف يجب أن يُسَّوى من الآن، وقبل أن يخرج المحتل، لأنَّ عدم تسويته سيجر أصحابه إلى الاختلاف حتماً، ومن ثم الاقتتال الذي حذرنا منه آنفاً، ومن قبل حذرنا رسول الله ﷺ بقوله: ﴿ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [البخاري:١٢١].

ونحـن في هيـئة علماء المسلمين وجهنا نداءً عاجلاً إلى أبناء الجهاد أن يفكروا بهذا الأمر ملياً، وأن يستعدوا للحظة يكونون فيها على خط المواجهة مع شعبنا في تحمل المسؤولية، كما طلبنا منهم الحوار المبكر فـيما بينهم، وإبداء المرونة بهذا الصدد، لأنَّ الاتفاق بين جماعات تمتلك رؤى متباينة يتطلب إبداء تنازلات مـن جميع الأطراف، نزولاً عند ما يمليه فقه الواقع ومعطياته، وتحقيقاً للمصلحة العامة، التي أوجب الشرع مراعاتها.

ومـن أجـل خطوة في هذا الاتجاه دعونا إلى توحيد الفصائل - منذ شهور- على مستوى اللقاء والتنسيق في أقل تقدير، ونجد الآن - بحمد الله - مبادرات في هذا الصدد، ونحن نؤيدها وندعمها، ونسأل الله سبحانه أن يتم نعمته على المجاهدين في تحقيق ذلك.

ويـوم يحـدث هذا، فسيجد المحتل نفسه مضطراً للتعامل معها بما يحقق الأهداف الكبرى للبلاد - مباشـرة أو بالواسـطة - لأنهـا الجهة التي غدت - لتوحدها في الموقف والمشروع - قوة كبرى لا يمكن تجاهلـها، أو يضطر إلى ترك البلاد لأهلها، وفي الحالين سيكون بمقدورنا توجيه قافلتنا بالاتجاه الذي نريده، وليس بالاتجاه الذي يريده المحتل لها.

ولعـل من المناسب التنبيه على أن من الخطأ الفادح أن تتعجل بعض الفصائل بفتح قناة للحوار مع المحتل قبل انجاز هذه الخطوة، كل على حدة، وببرامج مختلفة، فهذا كمين يتقن المحتل نصبه بدهاء، ويحقق له أهدافاً كثيرة، منها: شرذمة المقاومة لإضعافها، ودق إسفين بين فصائلها لتبتعد عن اللقاء فيما بينها، ومن ثم تفـويت الفرصة عليها لتكون قوة فاعلة ومؤثرة على الأرض، ومنها: استدراج الفصائل تحت وعود كاذبة بالتمكين لها من الحكم، وإغراءات خادعة، وربما تشفع بدعم وتمويل أيضا، لتسير- من حيث لا تشعر- في طريق تنفيذ مشاريع للمحتل، عجز هو بنفسه عن تنفيذها، فالحذر من أن يستمال بعضكم ،من قبل أطراف معاديـة، لتقديم تنازلات تذهب بالدين والدنيا معاً.. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ آل عمران: (١١٨).

إن هـذه الخديعة الغرض منها إشغال هذا البعض عن هدفه الأساس في الجهاد، واستعماله أداة في إضعاف الآخرين، حتى إذا تمكن منهم، وبقي وحده في الميدان، سهل على العدو شل قواه، ومن ثم الإجهاز عليه.. ولقد أحسن أحد الشعراء حين قال:

مخطيءٌ من ظنَّ يوماً　　　أنَّ للثعلبِ دينـــا

ولنا ولكم في تاريخ الأندلس خير شاهد وعبرة لكل معتبر.

أيها السادة : إذا وصلتم هذه المرحلة، فإننا نذكركم نصحاً بما هو آت:

أولاً: يجب أن تدركوا حقيقة مهمة للغاية، وهي: أنكم لستم وحدكم من يمثّل الشعب العراقي، وأصحاب المشروع الجهادي فيه، مع الإقرار بأنكم قلبه النابض، وفي مقدمته، وأصحاب ركنه الأعظم، لأنَّ العمل المقاوم لا يتوقف نجاحه على وجود ثلة مباركة تحمل السلاح ضد العدو فحسب، بل تقف وراء ذلك مجموعة من العوامل، تساهم مجتمعة في إنجاح مثل هذا المشروع العظيم.

ومن ذلك: البيئة الحاضنة للعمل الجهادي المقاوم، التي من دونها يغدو العمل مستحيلاً.. وإذن: فكل من سمح لكم بالحركة والتنقل، وممارسة العمل الجهادي المقاوم على أرضه، أو في حيه، أو ضمن حدائقه وبساتينه، أو في أي موطن يعود إليه تملكه، فهو شريك لكم في مشروع الجهاد والمقاومة.. وتذكروا أنَّ الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم لو لم يجعلوا من بيوتهم وأحيائهم ومزارعهم أرضاً لدولة الإسلام، لم تنطلق للمسلمين راية جهاد واحدة.

ومنها: الجهات الممولة لهذا العمل، التي تعد — بكل المقاييس — عصب الحياة له، فالمقاوِم المجاهد ما لم يُجهّز بجهاز المعركة من سلاح وذخيرة ووسائط نقل وغير ذلك لن يكون بمقدوره المضي قدماً في جهاده، وقد قال نبينا الأكرم محمد عليه الصلاة والسلام: ((من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا)) [البخاري:٢٦٨٨، ومسلم:١٨٩٥] .. وبالتالي فإنَّ هذه الجهات هي الأخرى شريكة لكم.

ومنها: القوى السياسية وغير السياسية الرافضة للاحتلال، والمقاومة لمشاريعه في البلاد، التي نأت بنفسها أن تساهم في أية مرحلة من مراحل الاحتلال في إنجاح المشروع الأمريكي ولم تروج له، والتي ارتفع لها صوت في التنديد بالمحتل وكشف أوراقه، ودعم فعالياتكم في الجهاد، بكلمة في فضائية، أو مذياع، أو مقال في صحيفة أو على مواقع الانترنت، أو خطاب في ملتقى شعبي أو دولي، في سياق يصدق فيه قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)) [ابن ماجه: ٤٠١٣].

هؤلاء جميعاً بغضّ النظر عن انتماءاتهم أو دوافعهم — فالنيات يعلمها الله سبحانه ،ونحن مأمورون في الشرع ابتداءً بإحسان الظن بهم — كانوا الصوت المعبر عن جهادكم ومقاومتكم، ولا سيما في بداية المعركة يوم لم يكن لكم حينها صوت ظاهر.

ولقد جهدت قوات الاحتلال من خلال آلتها الإعلامية الضخمة أن تعمل على تقزيم مقاومتكم، وتشويه صورتها، والإيحاء بأنها لا تعدو أن تكون فعاليات لشرذمة فقدت مكاسبها بسبب الاحتلال، وليس لديها هدف نبيل، ولكنها — بفضل الله — باءت بالفشل، ولقد كان لهؤلاء — من دون شك — دور كبير في ذلك، فهم شركاء لكم بالضرورة في هذا المشروع.

ومنها: أصحاب الوظائف والأعمال والكفاءات من السلك العسكري والمدني بكل صنوفهما، الذين رفضوا العمل في ظل الاحتلال، والذين يملكون من القدرة والكفاءة ما يمكنهم من العمل في مؤسسات (الدولة) التي أنشأها المحتل، ولكنهم لم يفعلوا، وآثروا البعد، وعدم تقديم أي دعم أو تأييد لمشاريع المحتل، وكان لمقاطعتهم الأثر الكبير في الحيلولة بين المحتل وبين تأسيس دولة تمكنه من البقاء، هم الآخرون شركاء لكم في هذا المشروع .

ومنها: عامة الشعب بكل طوائفه وأعراقه، من الذين لم يتواطئوا مع المحتل، ولا مع عملائه، وصبروا على الظروف الصعبة التي تمر بالبلاد، فمنهم من هاجر وترك طيب مسكنه، وفقد بسبب ذلك عمله أو تجارته، ورضي بالعيش غريباً في غير بلاده، ومنهم من انكفأ في بيته، وأخذ يقتات على ما لديه من مخزون طعام، وينفق من بقية مال عنده، ومنهم من فقد ولده أو زوجه أو أباه أو أمه، ومنهم من فقد بيته، أو مصنعه، بسبب المعركة أو تداعياتها، وغير ذلك مما لا يمكن حصره .

هؤلاء الصابرون المحتسبون الذين لم يظهروا عداءً لكم، و لم يتبرموا من جهادكم، بل كانوا يدعون لكم بالنصر والثبات، ويصبون جام غضبهم على المحتل وحكومته، هم شركاء لكم في العمل الجهادي المقاوم.

وإذن.. حين يكون هؤلاء شركاء لكم جميعاً، فلا يمكنكم ـــ وهذا ما قصدنا بيانه من هذا العرض - أن تتجاهلوا إرادتهم في رسم مستقبل العراق، وأنتم مدعوون إلى التعرف على طموحاتهم، وأطروحاتهم بهذا الصدد، ومطالبون ـــ في الوقت ذاته ـــ ألا تتجاوزوهم في أي مشروع سياسي قادم، لاسيما أنهم أغلبية، ولابد أن يكون في حسبانكم أنَّ أي مشروع لا يحظى بنسبة تأييد غالبة منهم، لن يكتب له النجاح، وستكون في طريق نجاحه عقبات ومشكلات.

ثانياً: لابد أن تضعوا في عين الاعتبار حال اختياركم أي مشروع سياسي خصوصيات المنطقة، والوضع الدولي القائم، وتصور ذلك على حقيقته وواقعه، ومراعاته على نحو لا يضر بالدين، هو ـــ في تقديرنا ـــ جزء من جهادكم .

إنَّ إفشال مشروع احتلال دولة عظمى، وإلحاق الهزيمة به لا يعني إمكانية تشييد دولة لم يبق من بناها التحتية شيء ذو بال، فحذار أن تتعاظم الثقة بالنفس لديكم إلى الحد الذي يجعلكم تستهينون بالواقع المر الذي نعيشه، وبالمقتضيات اللازم مراعاتها لإصلاحه .

إنَّ الهدم مهمة ليست صعبة للغاية، وهي أسهل بكثير من البناء إذا أردنا المقارنة، ولاسيما في منطقة معقدة كالتي يربض فيها العراق، تشبه بالقلب الأرضي، وتطفح بالبترول، والثروات الأخرى، وتتطلع إليها دول العالم من كل مكان.

وبالتالي لا يستطيع أي قادم على سدة الحكم في هذا البلد أن يتجاهل المحيط من حوله، أو الوضع الدولي القائم في عصره.. إنه من جهة سيكون بأمسّ الحاجة إلى تعاون ودعم من محيطه، لضمان توفير فرص

النجاح، وبالتالي ليس من الحكمة تجاهل هذا المحيط، على الرغم من وهنه، وكثرة الملاحظات عليه، لأنه ــ شئنا أم أبينا ــ عالمنا،ونحن جزء منه.

ومــن جهــة أخرى فإنَّ الوضع الدولي القائم، ما لم يتم التعامل معه بطريقة مناسبة، فسيكون هو الآخــر عقبة كأداء في طريقه، تحول كذلك بينه وبين نجاح مشروعه، فثمة إذن واقع وطموح، ولن يتحقق طموح من غير مراعاة للواقع.

إنَّ لــنا في رســول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فإنه حين أسس دولة المدينة لم يتجاهل جيرانــه، وأحسن السياسة معهم، كما أنَّ الدولة التي أنشأها لم تبتدئ بمناطحة فارس والروم، وهما قوتان عظميان آنذاك، وكان عليه الصلاة والسلام يتبع سنة التدرج في السياسة الخارجية، على غرار المنهج القرآني في التشريع.. قال الله سبحانه : ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)) [الأحزاب: الآية ٢١] .

ثالــثاً: المقاومــة وحدها لا تستطيع أن تبني دولة، وهذا لا يقدح في كفاءتها، فهي جزء من كل، والدولة إنما تقوم بالكل .

إنَّ مــرافق الحــياة كــثيرة، وتوفير الأمن والأمان والعدل والرخاء للمجتمع يفتقر إلى جيوش من الكفاءات، وأصحاب الخبرات في شتى الميادين.

ولــيس كــل مــن حمل السلاح يصلح لإدارة دولة،فـ (كل ميسر لما خلق له) كما أخبرنا بذلك سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام [البخاري:٧١١٢] ..

وهذا يضعكم أمام أمرين:

الأول : أن تعملــوا على كسب ثقة جميع المخلصين والشرفاء من كل أبناء الشعب على اختلاف طــوائفهم، وأعراقهم، وأديانهم، وتمدوا الجسور معهم، لتضمنوا تفاعلهم معكم، ومشاركتهم لكم في بناء البلد، فالخبرات والكفاءات موزعة فيهم.

ولاســيما كفاءات السلك العسكري وقوى الأمن الأخرى، الذين لم يتورطوا في جرائم وخيانات بحــق بلادهم، فهؤلاء رصيد لا غنى لكم عنهم، وجهودكم من دونهم في البناء الأمني على مستوى الدفاع الداخلي والخارجي لن ترقى ــ مع كثرة التحديات ــ إلى مستوى النجاح المطلوب.

الثاني : لابد أن تنبهوا إخوانكم في الجهاد أنه ليس كل من حمل السلاح في وجه العدو قادر على أن يتسلم شأناً من شؤون الدولة، سياسياً كان أم عسكرياً أم مدنياً، فقد يكون أحدهم ــ على سبيل المثال ــ قائد فصيل في المقاومة، ذا بلاء حسن في الميدان، لكنه حين تبنى مؤسسات الدولة لا يصلح أن يكون في موقــع عــسكري مــتقدم، أو لا يملك من المؤهلات التي تجعله كفأ لهذا المنصب أو ذاك بحسب السياقات المتعارف عليها في هذه السبيل، وإذا كان ذلك كذلك رغم فعاليته في الميدان، فمن باب أولى أن ينجر ذلك إلى مفهوم العمل السياسي أو المدني.. وغرضنا من هذا التنبيه أن يكون أبناء الجهاد المقاوم مستعدين لقبول

مـــواقعهم الطبيعـــية في الدولة القادمة، التي تتلاءم مع إمكاناتهم الذاتية، وكفاءاتهم، دون أن يكون لفعلهم المقاوم أثر في إسناد مهام إليهم لا يتقنونها، أو ليسو بكفء لها، مع مراعاة أن لهم على الأمة حق أن يمنحوا الأولوية في أي موقع يتقدمون إليه حين تتساوى الفرص، وتتوافر الكفاءة.

رابعـــاً: يفترض لضمان نجاح المشروع السياسي الذي يقع اختياركم عليه، أن يكون له نموذج تم تطبـــيقه، ومعرفة مواطن القوة والضعف فيه على نحو تجريبي، أو تكون لديكم نماذج عديدة قابلة للانتفاع مـــنها، والتعويل على تجربتها، لأنَّ اعتماد نموذج نظري لم يسبق له أن امتحن على أرض الواقع، فيه مجازفة كبيرة، إذ أن نسبة تعرضه للفشل ــ مع التحديات التي ستواجهه وضيق الوقت المتاح له ــ ستكون مرتفعة للغاية، وهذا سيجعل أبناء البلد يحبطون إزاءه، ويعزفون عن اعتماده مرة أخرى.

إنَّ الفـــشل في هذه المرحلة الحساسة غير مقبول، لأنه سيضيع الجهود التي بذلت في سبيل التحرير، وســـيمنح الفرصـــة لعـــودة من يريد لهم المحتل تسلم مقاليد الأمور في البلاد، على أنهم الأكفأ، وأن لديهم تجارب ناجحة في إدارة البلاد.

ومـــع قيام تجربة لكم ــ مثل هذه ــ تمنى بالفشل، ومع الدعم غير المحدود الذي سيتوافر لأولئك مـــن قـــبل الدول العظمى، وربما المحيطة أيضاً، سيستقر الماء في الكأس على هذا الوضع الأخير، وسينتهي الرصيد الشعبي لمشروعكم بما لا يتيح له فرصة العودة مرة أخرى لعقود من الزمن.

إنَّ هـــذه السبل لا مندوحة عنها ــ في تقديرنا ــ إذا ما أراد أهل الجهاد أن يجنوا ثمار جهادهم، ويوصـــلوا شعبهم الصابر بر الأمان، ويفوتوا ــ في الوقت ذاته ــ على عدوهم فرص الاستغلال، وقطف الثمار.. وفي كل الأحوال، فإننا نرى أن ثمة ضرورة لتلجئوا إلى فقهاء السياسة الشرعية من الثقاة، للتشاور معهم في مثل هذه القضايا المصيرية .

وأخيراً .. وليس آخراً :

نوصيكم خيراً بهذا الشعب من شماله إلى جنوبه، وبكل أطيافه وطوائفه، وإنكم أهل لذلك، ولكنها التذكـــرة الـــتي ينفع تكرارها، ولا يضر سماعها، فهذا الشعب أثبت أنه على رأس الشعوب المتحضرة، وأنه الأكثـــر وعـــياً، والأنضج قيماً وأخلاقاً، فقد تسامى على الجراح على نحو مثير للإعجاب، وتجاوز ــ حتى اللحظـــة ــ أفخـــاخ تمـــزيقه طائفياً وعرقياً على الرغم من قسوتها، وتحلى بأعظم صور الصبر على الظلم والإيذاء.

تأملـــوا في هـــذه الأيـــام كيف يستغل أبناؤه من كل الأطياف أية مناسبة تتيسر لهم، ليعربوا عن رفضهم للاحتلال ومشاريعه، ويعلنوا نقمتهم على الحكومة الحالية صنيعته، إعلاناً يصل حد الاستهزاء بها، وكشف فضائحها وجرائمها، ومطالبتها بالتنحي عن مواقعها، متجاوزين أن يكون للاعتبارات الطائفية والعرقية أي أثر في صياغة مواقفهم منها.

إنـــنا بهذا الصدد نستذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : ((.. وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقـــسط متـــصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال)) [مـــسلم:٢٨٦٥] .. فـــضعوا في أولوياتكم بعد إعلاء كلمة الله ،هدف إسعاد هذا الشعب، وتوفير العيش الرغيد له، وجعله في مقدمة الشعوب تطوراً وازدهاراً، وتعويضه عن سني الأذى والظلم والحرمان التي طالته عقوداً، وبلغت ذروتها في زمن الاحتلال، وتجنبوا في الميدان أن يتعرض أبناؤه لأذى المحتل وعملائه، أو لأذى غير مقصود منكم، تسببه تقديرات خاطئة من قبلكم في الميدان.

وإننا نعد من يحجم عن عملية قتالية يحصد فيها عدداً من المحتلين مخافة أن يصيب فيها بريئاً واحداً مـــن أبناء هذا الشعب، لمن أرباب الجهاد الميمون، الذي يعقد الله سبحانه بناصيته الخير، ويجري على يديه النـــصر، فابذلـــوا في هذه السبيل ما استطعتم من جهد، ولا تسمحوا للسآمة أن تتسلل إلى نفوسكم، لأنَّ فقـــدان كل واحد منهم خسارة كبرى، لا نريد أن يكون أحد منكم طرفاً فيها، حتى وإن لم يكن يقصد ذلك ..

وفقكم الله لإعلاءِ كلمته،ونصرةِ دينه.

اللـــهم ثـــبت أقدام أبنائنا وإخواننا المجاهدين وسدد رميهم.. اللهم ارفع بالمجاهدين رأس العراق وشـــعب العـــراق والعالم الإسلامي عالياً .. اللهم نكس بهم رايات الكفر والنفاق، واخذل بهم حملة هذه الـــرايات وأنصارها .. اللهم ارزقنا وإياهم إحدى الحسنيين، وجنبنا وإياهم السقوط في الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واجعلنا وإياهم ممن اصطفيتهم بقولك : ((ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)) [المائدة: الآية٥٦] .. آمين ..آمين.. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

٢٣/شعبان/١٤٢٨هـــ

٥/أيلول/٢٠٠٧م

الرسالة الثامنة:



من الشيخ حارث الضاري
إلى العشائر العراقية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنوجه رسالتنا هذه إلى أصول العراق الطيبة، وركائز نسيجه المتماسك، وضمانة وحدته وسلامته، وسلم الارتقاء به من حفر الاحتلال والتآمر إلى قمم التحرير والاستقلال والتطور والإبداع.

إلى عشائرنا العراقية الزكية في الشمال والوسط والجنوب من بلادنا الحبيبة، وعلى اختلاف أطيافهم ومكوناتهم.

أيها الإخوة الكرام. . يا أبناء العراق الغيارى. .

كنتم عبر التأريخ مطمع نظر العدو، ومطمح نظر الصديق، وملاذ قوى الخير والجهاد في الوطن؛ لأنكم تمثلون القوة الحقيقية للبلاد، فالعدو يطمع فيكم ليصل من خلالكم إلى أهدافه، والصديق يطمح إليكم ليبلغ بكم منافعه، وقوى الخير والجهاد تلوذ بكم كلما داهم الوطن خطب أو ابتلي باحتلال لينال أزركم في إزالة الخطوب وتحرير الأرض والعرض من براثن العدوان.

وكنتم دائماً ــ وهذا فضل الله عليكم وعلينا ــ شوكة في عين العدو، تقض مضجعه وتحول بينه وبين مطمعه، ووعاء للصديق تبلغونه بسخاء ما يحتاجه من منافع، وسيفاً في يد قوى الخير والجهاد لا يعود إلى غمده حتى يزول الخطب وتتحرر البلاد.

هكذا عهدناكم في الماضي البعيد والقريب، وأقرب الماضي إلينا استذكاراً بهذا الشأن ثورة العشرين المباركة، فقد كنتم أبطالها ومسطري ملحمتها سنة وشيعة، وعرباً وكرداً وتركماناً، وغير ذلك من أبناء العراق الآخرين الأخيار.

أيها الإخوة الأفاضل..

اليوم يخوض العراق ملحمة كبرى لم تحدث في التأريخ من قبلُ، فلم يحدث أن ابتلي بلد باحتلال من قبل دولة عظمى تنفرد في الهيمنة على العالم، وتعدّ القطب الأوحد فيه.

ولقد أبلى أبناؤكم بلاء حسناً، وأذاقوا العدو شر مذاق، وهو اليوم في أزمة خانقة، فجنوده في وضع منهار، ونوابه في الكونغرس يشترطون على إدارته تمويل عمليات الجنود بشرط اتخاذ قرار الانسحاب؛ لأن طوابير الموت لجنوده لم تتوقف لحظة، ولأن كلف الحرب لم تعد مقبولة بالمرة، فنحن إذاً على مشارف النصر، وعلى مشارف الخلاص، وعلى أبواب الحرية المنشودة بإذن الله.

أيها الأحباب..

لكن العدو لم ييأس بعد، وهو — اليوم — يبحث عن حيلة ينقذ بها نفسه، ويحفظ من خلالها شيئاً من ماء وجهه، ولأنه يعلم ما لكم من ثقل فإنه توجه هذه المرة إليكم، وهو نفسه الذي استهدفكم حين دخل البلاد، وسعى من قبلُ إلى إذلالكم، وكان يقتحم دواوينكم وبيوتكم، ويجرّ أشرافكم إلى المعتقلات والسجون، ويتعمد إذلالكم والقضاء على ما لديكم من قيم وأعراف وتقاليد.

يظهر لكم هذه المرة بمظهر الصديق الودود الذي يحرص عليكم، ويُقسم لكم — كما أقسم الشيطان من قبلُ لأبيكم آدم — أنه لا يريد لكم إلا الخير، وأنه ما قدم بخيله وخيلائه إلا حباً بكم ومن أجل توفير الأمن لكم، وأنه يخشى عليكم من ظلم الآخرين.

وسيعمل على جرّكم إلى مؤتمرات ومشاريع وتجمعات، وسيزين لكم اللقاء بالدعم والتأييد تحت ادعاءات هذا القَسَم غير الشريف.

وأنتم يا أبناء العشائر أهل تجربة وبصيرة وحصافة وفطنة، منكم يتعلم الناس دروس الحياة، ومن دواوينكم تظهر الحكمة، فلستم في موضع يجعلكم تصدقون مثل هذا الهراء والتزييف للواقع.

أيها الإخوة الأعزاء..

لقد سعى عدونا منذ بداية الاحتلال إلى تقسيم البلاد عرقياً وطائفياً؛ لأن ذلك يجعل من البلاد ضعيفة هشة، يسهل انقيادها والتحكم بثرواتها وإبقاؤها ساحة للفوضى، تعجز عن تطوير نفسها واستغلال إمكاناتها للتقدم وإسعاد أبنائها.

إنه يريد أن يجعل من العراق لبنان ثانية.. انظروا حال البلد الشقيق لبنان الذي يوصف بأنه جوهرة المنطقة، إن حاله اليوم لا تسر الصديق ولا تسوء العدو، فمنذ أن فرضت عليه المحاصصة الطائفية والعرقية سياسياً لم يعرف هذا البلد قراراً ولا استقراراً، وصار ساحة مكشوفة يتدخل فيها البعيد والقريب على حساب أمن أبنائه ورخائهم.

إذا اغتيل فيهم وزير اشتعلت بين مكوناتهم الفتنة، وأخذت التهم تتقاذف بينهم كالحمم، وإذا قربت الانتخابات بدت الأزمات بينهم كأنهم مقبلون على حرب، واليوم من أجل انتخاب رئيس لهم تتزلزل البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وتتدخل الدول من الشرق والغرب لتفرض عليهم أجندتها وسياساتها ومصالحها، ولو كان لبنان بلداً قوياً لم يحدث هذا كله.

إن الشعب اللبناني طيب المنبت أصيل في ذاته، لكن نظام المحاصصة ألحق به أضراراً فادحة، ولذا سعى هذا الشعب في مراحل عدة وبما يمتلك من أصالة إلى لملمة جراحه وتجاوز آلامه للعيش بسلام، لكن أعداءه كانوا يعملون على زعزعة أمنه كلما هدأت له حال، وكان الاستهداف الدائم لرموزه إحدى الوسائل المتبعة

في هذه السبيل، وبسبب نظام المحاصصة فيه فإن النقمة لم تكن تتوجه إلى الفاعل الحقيقي الخفي، بل تتوجه إلى المكونات، فتستيقظ الفتنة بينهم من جديد.

لذلك استعرت بين مكوناتهم من قبلُ حرب أهلية دامت أكثر من خمس عشرة سنة، أتت على الأخضر واليابس، وأغرقت البلاد في الديون، ويراد لها اليوم أن تستعر من جديد.

ونحن في الوقت الذي ندعو الله أن يسلم هذا البلد الشقيق من الأزمات، وأن ينعم عليه بالأمن والرفاه والقوة والاستقرار، ندعو العراقيين جميعاً إلى أخذ العبرة من لبنان؛ لأن العدو يسعى إلى زعزعة أمننا على هذا النحو من أجل أن يمرر علينا ما مرره على هذا البلد الشقيق.

وعليكم أن تتذكروا مجلس الحكم الذي قسم البلاد لأول مرة تقسيماً عرقياً وطائفياً ثم الدستور الذي أرسى دعائم هذه المحاصصة، وأعد لها القاعدة لتتحول من النظرية إلى التطبيق، ثم سياسات القتل الطائفي التي تبناها المحتل، وساعدته في ذلك قوى الشر من الداخل والخارج لترسيخ الانقسام؛ ودفعنا جميعاً ثمنها غالياً من دماء أبنائنا، ولا زلنا ندفعه مجاناً بسبب فتن الاحتلال والسياسات المماثلة له ممن ارتضاه الاحتلال لحكمنا. كل ذلك مخطط له ليصب في سياق إضعاف العراق وأهل العراق.

لقد جاء مشروع بايدن سيئ الصيت الذي قسم العراق إلى أقسام لجس النبض ورصد نضوج الفكرة ومدى تقبل الشعب لها، وأشهد أنكم رفعتم رؤوسنا، وخيبتم آمال عدوكم حين كان رفضكم لهذا المشروع رفضاً جماعياً قاطعاً والحمد لله.

نعم انبرى بعض الساسة من أصحاب العملية السياسية لتأييد هذا المشروع، ولكن الجميع بات يعلم أن هؤلاء الساسة لم يعودوا يمثلونكم، وأنهم متوجهون لتحقيق مصالحهم دون مصالحكم، وأن ما يهمهم من نظام الفدرالية أن يكونوا هم على رأس السلطة فيها والمنتفعين من عوائدها مثل أمير في إمارة، تبقى له طول الحياة ولذريته من بعده، وهم الذين أذاقوا الناس الأمرّين دون هذا الوضع، ولم يقدموا لهم الخدمات الضرورية، ولم ينقذوهم مما هم فيه من مصائب ومشاكل وإقصاء وحرمان؛ فكيف إذا آل الأمر إليهم، أمر البلاد والعباد، تحت مشاريع الفدرالية المزعومة والإمارة المنتظرة!!.

واليوم يسعى المحتل إلى أسلوب آخر مساعد لمشاريعه هذه، وهو التفتيت، تفتيت الطائفة الواحدة والعشيرة الواحدة والمنطقة الواحدة، ثم إنشاء كانتونات ومناطق مسلحة يقتل بعضها بعضاً، وصناعة أمراء حرب متنافسين ليوقد الفتنة في بلدنا العزيز، وليمزق أوصاله، وليبقيه ضعيفاً، وليبقى هو السيد ومن جاء بهم من قوى الشر، ويوصل البلاد في النهاية إلى حرب أهلية يستعر أوارها في كل مكان من أنحاء الوطن.

ومن دون شك فإن أبناء العشائر بالنسبة له أرض مهمة للنجاح، وسيبذل جهده وماله لإحداث مراكز استقطاب في العشيرة الواحدة، وسيغذي الأقطاب جميعاً بالمال والسلاح، وبالطبع من مال العراق أيضاً، ليحدث بعدها صراعات دموية داخلية، بل إنه بدأ فعلاً باتخاذ مثل هذه الخطوات في الوسط والجنوب من أرض العراق.

فالحذر الحذر يا أبناء شعبنا، ويا أبناء عشائرنا.. يا أبناء الرافدين جميعاً.. الحذر الحذر من هذه الفخاخ التي ستذهب في المحصلة بالمال والرجال، وستحول البلد وأهله إلى رهينة بيد المحتل..

إن ثقتنا فيكم عالية يا عشائرنا العربية الأصيلة، ويا عشائرنا الكردية، والتركمانية، ويا عشائر العراق جميعاً.. إن ثقتنا بكم عالية، وظننا فيكم حسن، وآمال الأمة منعقدة على وعيكم وجهدكم وجهادكم.

أيها الإخوة الأكارم..

لقد صدرت شكوى من جهات تمثل عشائر من إخواننا في الجنوب ـــ ولم تكن الأولى بل سبقتها شكاوى ـــ يعربون فيها عن استيائهم من ظلم دولة جارة ترتبط مع مناطقهم بحدود طويلة ولها نوايا عدوانية، وأنها استعملت الطائفية جسراً لتحقيق مصالحها القومية، وعدوا ذلك منها أكثر الطعنات إيلاماً وأكثر الخناجر تسمماً، وجاء في الشكوى اتهامهم لهذه الدولة بسعيها لتقسيم العراق، وأنها تستهدف المصالح الوطنية للعراق، وتعمل على فصل المحافظات الجنوبية عن البلد الأم، عراق الآباء والأجداد.

وفي تقديرنا إن هذا التشخيص في شكواهم دقيق، وإن ثمة ما هو أدهى وأمر، وإن ظلم هذه الدولة لم يقتصر على المناطق الجنوبية، بل طال بغداد بشكل قاس، والمناطق الوسطى والشمالية أيضاً.

لقد عمدت هذه الدولة الجارة - هي ومن تعتمد عليهم في العراق - إلى أساليب التصفية الجسدية لكل من يعارضها في مشاريعها التوسعية وأطماعها غير المشروعة ولاسيما في جنوبنا العزيز، فلقد قتلت الكثير من رؤساء القبائل من المشايخ العموم في الجنوب ورؤساء القبائل الصغيرة ورؤساء الأفخاذ الذين يعارضون الاحتلال، ويعارضون الفدرالية وأي تدخل أجنبي في بلدنا العراق الغالي.

وإننا بهذه المناسبة نعلن تضامننا مع هذه الشكوى، وسنكون دائماً في موقع التداعي والمناصرة لإخواننا في الجنوب، وكذا لإخواننا في الوسط والشمال؛ لأننا جميعاً أصحاب بيت واحد، وعلينا أن نعمل معاً كقوة واحدة رادعة لكل عدو طامع من أجل إنقاذ هذا البيت.

بيد أننا ننبه إخواننا أصحاب الشكوى وكل أبناء العراق الذين يحملون هذا الهم إلى أمرين مهمين:

الأول: ينبغي أن لا ننسى أن من مهد لدولة الجوار هذه طريق التدخل ومد النفوذ غير المشروع وارتكاب الجرائم والحماقات وفعل الأفاعيل هو الاحتلال نفسه، وأن ذلك تم بتنسيق بين الجهتين لمصالح مشتركة لا رصيد فيها لمعاني الخلق الحسن وشرف الجوار وحقوق الإنسان، وأن كل جهة سعت لاستغلال الجهة الأخرى لتحقيق أهدافها على حساب دمائنا ووحدتنا وكرامتنا، فحذار أن نسمح باستغلالنا لخدمة إحدى الجهتين لتحقيق مصالح لها، فالجهتان ليس في وارد تفكيرهما مصلحة العراق على الإطلاق.

الثاني: من الخطأ أن نعلق آمالاً في الخلاص على جهات جاءت مع المحتل، ونفذت له سياساته، وكانت وما زالت ترتبط معه بأجندة، فلن تنفك هذه الجهات ـــ في كل الأحوال ـــ عن هذا الارتباط، ولن يكون بمقدورها أن تفعل ذلك؛ لأنها ذهبت في هذا الشوط المشبوه بعيداً للأسف الشديد.

أيها الأعزاء.. أبناء العراق الكرام..

قبل أيام سمح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية رئيس دولة الاحتلال لنفسه أن يبحث في غرفة مغلقة اتفاقاً ذا مساس بسيادة العراق والمصالح العليا له مع رئيس الوزراء الحالي الذي نصبه من قبلُ، ومنحه الدعم الكامل ـــ على الرغم من أنه الشخص الأسوأ الذي نصب على سدة الحكم في ظل الاحتلال ـــ ويراد منه الآن أن يدفع الثمن، أن يبيع العراق بيع مسود لسيد، وبما أن هذا الشخص لا هم له إلا أن يبقى في السلطة، فقد بدا مستعداً ليفرط بكل البلاد ثمناً لهذا المنصب الخائب.

لقد تضمنت هذه الوثيقة دعم دولة الاحتلال على المدى الطويل للحكومة الحالية وأجهزتها الأمنية المتورطة في قتل أبناء الشعب العراقي في الجنوب والوسط والشمال وتعذيبهم في أقبية سجونها وممارسة التطهير العرقي والطائفي بشهادة منظمات دولية لحقوق الإنسان، ولقد عانيتم كما عانينا من ظلم هذه الأجهزة التي ليس لها أي ولاء للوطن، وكانت ـــ ولا زالت ـــ تتعامل مع العراقيين على أنهم أعداء.

نعم .. هكذا تفعل .. وعلى هذا النهج تسير.

كما تضمنت تقديم العون لهذه الحكومة لتصفية أعدائها، وهم كل من يقف عقبة في طريقها، فرموز العشائر الوطنية والمقاومة العراقية المشروعة وكل صوت يرفض ظلم هذه الحكومة سيكون هدفاً لهؤلاء.

كما تضمنت احترام الدستور الحالي وصيانته والوقوف بحزم أمام أية محاولة لتعطيله أو تعليقه أو تجاوزه، وأنتم تعلمون أن هذا الدستور هو أصل المشاكل بعد الاحتلال، وهو الذي يؤسس للتقسيم، وغيبت فيه إرادة الشعب بطريقة القرصنة، واقتصر في تدوينه على الأحزاب المتواطئة مع مشروع الاحتلال، كما تضمنت هذه الوثيقة المنوي التوقيع عليها في السنة القادمة تمهيد السبيل لعقد اتفاقات أمنية وعسكرية واقتصادية طويلة الأمد، وغير ذلك من البلايا والطامات التي رضي رئيس الوزراء الحالي - من أجل تحقيقها لأسياده - أن يوقع على بياض.

إن هذه الوثيقة بمثابة رهن للعراق ومستقبله وثرواته بيد جلاديه، وهي فضيحة بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ وأبعاد، فضيحة على الإدارة الأمريكية التي لم تكتفِ باحتلال العراق وتدميره، بل تسعى اليوم للاستيلاء عليه مدى الحياة، وفضيحة على ساستها الذين نصبتهم على سدة الحكم، ورضوا لأنفسهم الارتماء في أحضانها والعمل في خدمتها.

وفي كل الأحوال فإن على الرئيس الأمريكي ومن معه أن يكفوا عن تجاهل إرادة الشعب العراقي والمواثيق الدولية، وانتهاك حقوق الإنسان العراقي، وأن يفكروا ــ بدلاً من ذلك ــ بالتكفير عن خطيئتهم بحق هذا الشعب والاعتذار له وتقديم تعويض عادل له عما اقترفوه بحقه من جرائم ضد الإنسانية طالته في كل ناحية من نواحي الحياة، أما أحلامهم هذه في الهيمنة على البلاد والاستيلاء على خيراتها ومقدراتها، فهي أوهام، سيمزق أبناء شعبنا بكل أطيافهم رداءها بعون الله تعالى.

أيها الإخوة الأفاضل.. يا أبناء شعبنا الأبي..

لا حل لنا في الأفق إلا باعتصامنا بحبل الله أولاً ثم التطلع إلى وحدتنا واعتبار التجاوز عليها خطاً أحمر، والمضي قدماً في جهودنا لإبعاد العدو وكل مخلفاته من أرضنا بشتى الوسائل المتاحة، وتسامينا على الجراح والتواصل فيما بينا لنرسم معاً مستقبل بلادنا بعيداً عن مآرب الاحتلال ونزوات الساسة وأطماع دول الجوار، فنحن وإياكم أبناء العراق، ونحن وإياكم من يرسم مستقبله بعون الله تعالى، ولا ينبغي أن نسمح لغريب وافد أو قريب جاحد أو جار طامع حاقد أن يحول بيننا وبين هذا الحق، حقنا في العيش الآمن وفي الحرية والاستقلال وفي الوحدة في إطار بلدنا العزيز العراق.

إن الاحتلال لا بد أن يخرج أولاً لنستطيع تدبر أمرنا، فهو الذي يضع الحواجز بيننا من أجل ألا نلتقي وألا نتحاور وألا نتفق، وهو الذي يوقد بين آونة وأخرى فتناً عديدة، ويؤسس لمشاكل شتى طائفية وعرقية واجتماعية واقتصادية وأمنية وغير ذلك، ولديه من أبناء جلدتنا ــ للأسف الشديد ــ من ينفذ له رغباته، ولديه من جيراننا ــ للأسف الشديد أيضاً ــ من يشاركه في مآربه، ويعينه على تنفيذ مخططاته، وما ذاك إلا لتبقى الفوضى عارمة في بلادنا وليشعرنا أننا بحاجة إليه، وأنه إذا خرج فإن الأمور ستزداد سوءاً، فإذا لم تُحلّ المشاكل مع وجود مئات الآلاف من مقاتليه فكيف يمكن حلها برحيله؟ هكذا يزعم هو، ويزعم من يعتمد عليه، وهكذا يريدنا أن نفكر، ولقد سقط في أحابيله كثيرون، واليوم نسمع من ساسة – كانوا من قبلُ يطالبون برحيله – أنهم يصرون هذه المرة على بقائه، ويظنون أن بقاءه ضمانة للحيلولة دون الانزلاق إلى قتال داخلي، وهذا وهم، فالاحتلال أصل المشاكل، وفي ظله تفاقمت أزمات وولدت أزمات أخرى، وفي عهده برزت صراعات وحدثت جرائم لم يألفها العراقيون من قبلُ، ولا يعرفون لها نظيراً في تأريخهم، أتدرون لِمَ ذاك؟ لأن الاحتلال نفسه هو من يقف وراء ذلك دائماً.. ألا ترون أننا كلما نجحنا في حل مشكلة، وأوشكنا على استئصال جذورها وضع في طريقنا أخرى ليبقينا في هذه الدوامة دوامة الاختلافات والفتن؛ لذلك لن نتمكن من حل أية مشكلة مع وجود الاحتلال، لكنه يوم يخرج سيكون بمقدورنا حصر مشاكلنا، والعمل معاً على حلها الواحدة تلو الأخرى، ونحن العراقيين ليس لدينا مشاكل عظمى، فأرضنا واسعة، وتستوعب أضعاف أعدادنا الآن، وهي بفضل الله خصبة من شمالها إلى جنوبها،

ومياهنا غزيرة، ومواردنا تكفينا، وتكفي عشرات الأجيال القادمة من أبنائنا، وهذا هو الذي جعل عدونا يطمع فينا.. فلنتفق إذاً على إخراجه، وَلْنَحُلْ بينه وبين أطماعه وأطماع الآخرين.

أيها الإخوة الأعزاء . . يا أبناء بلدنا العزيز . .

البلدان في كل العالم لديها جيوش تحميها في الشدائد، وتؤازرها في الملمات، والعدو حين غزا أرضنا، وكان عازماً على إذلالنا، كان من خطواته الأولى حل جيشنا ليبقينا بلا سند كالريشة في مهب الريح يتصرف بنا كيف يشاء.

والجيش العراقي الذي حله العدو من أقوى الجيوش في العالم، ولديه خبرات عالية، وفيه كفاءات نادرة، وصرفت مليارات من أموالنا على إعداده وتطوير قدراته، فبأي منطق يطلب منا تجاهله وعلى أي أساس نضحي به ونهدر إمكاناته. إن هذه رغبة العدو ورغبة الحاقدين على العراق، وهم معروفون لكم، ولكل العالم.

إن أبناء هذا الجيش أولاً وأخراً أبناؤنا، وهم كانوا صورة مشرقة تعكس فسيفساءنا؛ لأن عناصره من كل المكونات العراقية طوائف وأعراقاً وديانات ومذاهب، وهم متعلمون على الإخلاص للوطن بعيداً عن النعرات الطائفية والعرقية، وكلنا يذكر أن إثارة أي جدال طائفي أو عرقي في الجيش السابق كان خطأً أحمر.. فلن نجد أفضل من هذا الجيش اليوم لحفظ البلاد واستعادة الأمان.

لذا ندعوكم إلى المطالبة بعودته والتمسك به على الرغم مما يشاع عنه من إشاعات باطلة ومغرضة مفتراة ممن كانوا يحقدون عليه لإنجازاته في خدمة البلاد وخوفاً من عودة العراق بلداً له شأن. وإذا كان ثمة اعتراض ــ أيها الإخوة ــ على شخصيات فيه أساءت إلى شعبنا من قبلُ، فهذا أمر يمكن معالجته من خلال إقصاء هذه الشخصيات، وإن من الظلم لأنفسنا أن نفرط بجيش عالي الكفاءة ــ نحن أحوج ما نكون إليه في هذه الأزمة وفي هذه الأيام ــ من أجل بعض المسيئين.

تأملوا اليوم الجيش الحالي وأجهزة الشرطة التي أسست أصلاً لخدمة المحتل وتنفيذ مشاريعه، ماذا جنينا منهم؟! فالقتل الطائفي والقتل بين الطائفة الواحدة والقتل العرقي وسرقة أموال الناس وأموال الدولة – ومنها النفط – واستهداف الأبرياء واجتياح المدن مع المحتل وتعذيب السجناء وهتك الأعراض واستهداف بيوت الله والعتبات المقدسة كل ذلك وغيره تورطت به عناصر كثيرة منهم.. فكيف نأمل أن ينقذونا من العذاب الذي نحن فيه؟!. وكيف يراد منا أن نطمئن إليهم إذا كانوا هم جزءاً من البلاء الذي سلط على العراق وشعبه؟!.

من دون شك ــ أيها الإخوة ــ بين هؤلاء عناصر لا تحب الظلم، ولا تمارسه، لكنها مغلوبة على أمرها، لا حول لها ولا قوة، وهذه العناصر الطيبة يمكن احتواؤها، وعزلها عن هذا المحيط السيئ الآسن.

إن إعادة الحياة إلى هذه المؤسسة العسكرية الوطنية بعد رحيل الاحتلال من شأنه أن يختصر علينا الزمن في استتباب الأمن وإعادة الوضع الطبيعي للبلاد، وحينها ستختفي كل المظاهر المسلحة، ولن يسمح لأحد بعد ذلك بحمل السلاح مهما كانت مبرراته.

فلنعملْ معاً على عودة الجيش الوطني، فهو مربط الخلاص، ولنصمّ آذاننا عن إرجاف المرجفين وادعاءات المدعين.

أيها الإخوة..

أما مستقبل العراق فلن يستأثر به أحد، فنحن قادرون جميعاً ـــ بإذن الله ـــ على رسم مستقبل له لا يقصى منه أحد، تناط فيه الأمور بأهل الكفاءة وذوي القدرة على مجاوزة المحنة وإعادة إعمار البلاد دون النظر إلى الطائفة أو العرق، ويكون قوامه التداول السلمي للسلطة بالوسائل المشروعة، ويحظر فيه أي عمل سياسي يعتمد برامج طائفية أو عرقية، ويمكننا أيضاً الاتفاق على دستور جديد للبلاد، يحفظ حقوق الجميع بعيداً عن حراب الاحتلال وأطماع الطامعين، دستور يشارك فيه الجميع بلا استثناء، وليس كدستور الاحتلال الذي غيب إرادة الشعب العراقي، وصيغَ على نحو يلبي رغبات المحتل وفئات سياسية معينة متورطة معه يعرفها الجميع.

إننا إذا اتفقنا على هذه الخطوط العريضة سيكون بمقدورنا ـــ بعون الله تعالى ـــ إيجاد الآلية المناسبة لتنفيذها وإجبار العدو وغيره من المتربصين على القبول بها، فإن إرادة الشعوب إذا اتحدت لا تقهر، وإن الله سبحانه ظهير لأصحاب الكلمة الواحدة الذين يستهدون بهداه، ويتوكلون عليه.

وأخيراً وليس آخراً..

ندعو العشائر العراقية الطيبة ذات المنابت الكريمة عشائر العراق التي رفعت الرؤوس عالياً في كل الملمات التي تعرضت لها البلاد، فهم عبر التأريخ قادوا جيوش الدفاع عن الحياض، ووقفوا في وجوه المحتلين.. ندعوهم، وندعو أنفسنا لنتخذ من الصبر رداء ومن الصمود طريقاً.

فصبراً وصموداً يا رجال.. لأن البلدان لا يمكن الدفاع عنها من دون صبر وصمود، وأنتم أهل الصمود والصبر، وعليكم تعقد الآمال.

يا أبناء عشائرنا العراقية المباركة..

عليكم أن تفشلوا مشروع الاحتلال تماماً، وقد أوشك ذلك أن ينجز بإذن الله، وأن تعدوا أنفسكم لمرحلة التحرير الآتية، فاستعدادكم لها ضرورة لتبنوا البلاد بيد الأبناء.

لا تتوقعوا أن يبني لكم الأعداء بلداً، فما جاء الأعداء إلا للهدم والتخريب.. هذه الأموال التي تهدر بالمليارات تحت شعار ما يسمى بعقود الإعمار، إعمار هذه المحافظة أو تلك.. أين هي؟!. لقد تلاشت ولا إعمار؛ لأنها لا تذهب إلى الإعمار حقيقة، بل إلى جيوب العملاء الموالين للاحتلال رشى وشراء للذمم، تذهب إلى حسابات الذين اختارهم الاحتلال أو اختاروا هم أن يكونوا في خدمة الاحتلال، هؤلاء لا يبنون، ولا يعمرون.

إذاً إعمار البلاد وبناؤها سيبقى متوقفاً عليكم، فلنتهيأ لهذا اليوم الذي نبني فيه بلادنا بيد أبنائنا البررة المخلصين على نحو يعيد العراق لأهله، ويعيد له موقعه المتميز في العالمين العربي والإسلامي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ الدكتور حارث الضاري
الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق

الرسالة التاسعة:



رسالة مفتوحة

من هيئة علماء المسلمين

إلى أهالي الموصل متعلقة بحادث

الزنجيلي الأليم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
السلام عليكم يا أهلنا في الموصل الأبية مدينة العلم والجهاد والتاريخ المجيد والمشرق.

السلام عليكم يا من تسطرون أروع معاني الصبر والتضحية والإباء في هذه الأوقات العصيبة من تاريخ العراق الحافل.

لقد آلمنا مصابكم في حي الزنجيلي وعز علينا كثيرا ألمكم.. ولكن حسبنا أنكم أبناء الموصل الحدباء التي ما ضرها فعل الأعداء يوما وما أوهن من عزيمتها وما نال من صلابتها.
إننا في هيئة علماء المسلمين نعلن تضامننا التام معكم في محنتكم ونحتسب عند الله شهداءكم وندعو لجرحاكم بالشفاء العاجل.

ونشد على أيديكم وقلوبكم الصابرة على مؤامرات الأعداء بمختلف صورهم.
وندعوكم إلى التكاتف والتوحد واستلهام تاريخ مدينتكم الباسلة على مدى العصور في الوقوف أمام المخططات التي يراد لها أن تتم على الرغم منكم، ونحذركم في الوقت نفسه من الفتن التي تعد لكم.

يا أهل الموصل: إن العداء المتأصل ضد محافظتكم المجاهدة.. منه ما هو خارجي ومنه ما هو داخلي.. والهدف واحد دائما وهو كسر شوكتكم وتوهين صفكم وخلخلة صمودكم وبث روح الخور فيكم، وتشتيت الانتباه عما يحاك لكم بالليل والنهار.

إن وعيكم وثباتكم المعهودين كفيلان بإفشال كل ما يراد لكم من شر، وما يعد لكم من فخاخ.

إن مدينتكم ومحافظتكم المجاهدة هي هدف العدو في هذه الأيام ومحور اهتمامه وطموحه إلى التعلق بأوهام النصر الزائف الذي لن يتحقق بعون الله بفضل إيمانكم بصحة طريقكم وسلامة منهجكم وحسن إدراككم لطبيعة المنازلة وأهداف العدو.

يا أهل الموصل النجباء وأبنائها المجاهدين بالذات ندعوكم إلى توحيد كلمتكم والتعاون فيما بينكم على ما يرضي الله ولا يضر بعباده؛ ونوصيكم برص صفوفكم ضد عدوكم.

وخــتاماً: نشكر جميع من سعى من أهل الخير لنجدة المتضررين ومساعدهم وإغاثتهم، وندعوهم إلى بــذل المزيد.. كما ندعو أبناء المحافظة جميعا إلى اللجوء إلى الله والاعتماد عليه والاستعانة به وحده دون سواه، والتمسك بخيار مقاومة المحتل والحذر من مزالق الأعداء.

حفــظ الله الموصل وأهلها، وحفظ العراق كله والعراقيين جميعا من كيد الكائدين وحقد الحاقدين وتخريب المخربين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمانة العامة

١٩/محرم/١٤٢٩هـــ

٢٠٠٨/١/٢٧م

الرسالة العاشرة:



رسالة مفتوحة

إلى المسؤولين الحاليين في العراق

حول الاتفاقيات الطويلة الأمد المزمع عقدها

مع سلطات الاحتلال في العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد:

ففي الوقت الذي يتطلع فيه العراقيون إلى اليوم الذي يخرج الاحتلال من بلدهم يتشبث الاحتلال في البقاء على أرضه من خلال اتفاقيات ومشاريع يروم عقدها والترويج لها مع الحكومة الحالية، وقد أكد ذلك عـــدد مـــن المسؤولين الحكوميين بمن فيهم رئيس وزراء الحكومة الحالية: السيد نوري المالكي والمسؤولين الأمريكيين، وكان آخرهم سفير الولايات المتحدة الأمريكية الحالي في العراق (كروكر)، حيث قال في يوم ١٩/٢/٢٠٠٨م:((إن الولايات المتحدة تريد عقد اتفاقية أمنية طويلة الأمد مع العراق حتى يخرج العراق من البند السابع من الأمم المتحدة)).

وقد جاء مثل هذا التبرير غير المنطقي الذي يتسم بالابتزاز على لسان بعض المسؤولين الآخرين، الذين رضوا لأنفسهم أن يكونوا أداة يحقق الاحتلال من خلالها مشاريعه.

ونظرا لخطورة هذه الاتفاقية وغيرها من الاتفاقيات الأخرى التي أشارت إليها مذكرة التفاهم السابقة بين رئيس الوزراء الحالي السيد نور المالكي و جورج بوش رئيس الولايات المتحدة في الغرفة المغلقة.. والتي تمـــس سيادة العراق وأمنه ومقدراته ومستقبل أجياله فإن هيئة علماء المسلمين في العراق ترى أن من واجبها الـــديني والـــوطني والتاريخـــي أن تنبه أبناء الشعب العراقي إلى خطورة مثل هذه الاتفاقيات على مستقبلهم ومـــستقبل بلدهم، وتحذر الحكومة الحالية ومجلس الرئاسة والبرلمان الحاليين من مغبة الإقدام على الدخول في المفاوضـــات المزمع عقدها في الأسابيع القادمة مع الجانب الأمريكي ومغبة الاتفاق على شئ في هذا المجال، وذلـــك لعـــدم جواز عقد مثل هذه الاتفاقيات، في ظل الظروف التي يمر بها العراق شرعاً وقانوناً، وذلك للأمور الآتية:

أولاً: إن أحـــد طرفيها هو الاحتلال، وهو طرف محتل للعراق ظلماً وعدواناً، وبذرائع لم تكن صـــادقة، وقـــد نفى المحتل وجودها وكذبها هو بنفسه.. فضلاً عن إن الاحتلال للعراق وقع خارج إرادة المجتمع الدولي، ودون موافقة الأمم المتحدة، فهو ـــ بكل المقاييس ـــ طرف غير شرعي وغير قانوني، ومن ثم لا تجـــوز معـــه عقد مثل هذه الاتفاقيات، مادام محتلاً سوى ما يتعلق بخروجه من العراق، وتركه لأهله، وإعادة الحق إلى نصابه.

ثانياً: الحكـــومة الحالـــية هي الأخرى ليست طرفاً يحق له عقد اتفاقيات من هذا النوع ذات مـــساس بالمصالح العليا للبلد وأهله، لأنها حكومة مشكله في ظل الاحتلال وفاقدة للسيادة، وهي بذلك تمثل الجانب الأضعف في أي اتفاق، و لا يعطيها الحق في ذلك كونها منتخبة، لأن انتخابها جرى في ظل الاحتلال أيـــضا، و لم تتوافـــر فـــيه الحـــدود الدنيا من المعايير الدولية للنزاهة والحيادية، فضلاً عن حجم التلاعب، والاختراقات الذي أزكم الأنوف حينها.

ثالثاً: عـــدم ثقة الغالبية العظمى من أبناء الشعب العراقي بأمانة الحكومة الحالية ولا بغيرها من الحكومات السابقة لها التي شغلت هذه المواقع السياسية في ظل الاحتلال لفقدالها السيادة كما أسلفنا، وعدم بـــدو أي معلـــم يدل على إن لديها حرصاً على المصالح العليا للعراق وشعبه، وهي اليوم بشهادة القريب والبعيد من أهل الاختصاص من أكثر الدول فساداً في العالم.

رابعاً: إن هذه الاتفاقيات ستكبل الشعب العراقي وستحد من حرية العراق، وتشل قدرته على بـــناء قواه الأمنية بشكل يتناسب مع ضرورات الدفاع عن أمنه واستقراره وحدوده عند الحاجة، وكذلك على استغلال ثرواته الوطنية بما يعود على العراق وأهله بالخير العاجل والآجل.

خامساً: هـــذه الاتفاقيات ــ على الرغم من عدم شرعيتها ــ ستثير للشعب العراقي مشاكل، عندما يرى أن من المصلحة التخلص منها أو تعديلها، لأن الولايات المتحدة بما لها من ثقل في المجتمع الدولي وهيمنة على مؤسساته الدولية، بما فيها الأمم المتحدة، قد تحول دون تحقيق ذلك، إلا بتضحيات جديدة من قبل شعبنا سيضطر إلى تقديمها في سبيل الخلاص عند ذلك.

سادساً: ســـتُبقي هـــذه الاتفاقـــيات مظاهـــر الاحتلال وهيمنته الأمنية والسياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها على العراق إلى أمد بعيد، وهذا ما جاء الاحتلال من أجله ابتداء، أما التذرع بأن العراق حـــال عقده هذه الاتفاقيات سيخرج من البند السابع من الأمم المتحدة فلا يعدو أن يكون ابتزازاً من قبل المحـــتل، وترويجاً للمشروع الأمريكي من بعض ساسة اليوم الذين ارتبطوا وإياه بمصالح مشتركة ،واتفاقات ســـابقة، لأن العراق قد خرج عملياً من البند السابع منذ أن خرج الرئيس السابق من الكويت ووقع وثيقة هـــذا الصدد مع ما كان يسمى آنذاك بقوات التحالف، وكان على المجتمع الدولي أن يطالب الأمم المتحدة بإخراجه من هذا البند اللعين منذ ذلك الحين.

وفي كـــل الأحوال فإن العراق سيخرج من هذا البند بخروج الاحتلال من أرضه بعون الله تعالى، سواء عقـــد اتفاقيات أم لا، لأن مبررات وضعه تحت هذا البند لم تعد قائمة بشهادة المجتمع الدولي، ومن هنا فإن مـــثل هذه الذريعة،، يراد منها إقناع الشعب العراقي بأن له مصلحة في هذه الاتفاقيات ليغض الطرف عن

تمريرها، وهي خدعة للابتزاز ليس إلا، ومن هنا فإن أي اتفاقية تبرم في ظل ابتزاز على هذا النحو لن تكون شرعية.

أخيراً ندعوا المسؤولين الحاليين من أعضاء الحكومة والرئاسة، ورئاسة الوزراء، والبرلمان وغيرهم ممن لهم علاقة بموضوع الاتفاقيات المذكورة أن ينأوا بأنفسهم عنها وأن لا يوافقوا عليها، وأن يحذروا تمريرها، لما تقدم من أمور، وأن من يشارك منهم في شئ من ذلك فسيعرض نفسه للمساءلة الشرعية والقانونية والوطنية والتاريخية.

كما ندعو أبناء شعبنا العراقي الأبي بكل انتماءاتهم الدينية والمذهبية والعرقية والفكرية والسياسية والعشائرية إلى الوقوف بحزم أمام هذه الاتفاقيات والتحديات لتفويت الفرصة على العدو الذي يريد من وراء هذه الاتفاقيات إبقاءهم رهن مشاريعه المشبوهة في المنطقة، وأن يحقق من خلالها مكاسب عجز عن تحقيقها بالسلاح.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف: ٢١

الأمانة العامة

لهيئة علماء المسلمين في العراق

١٨/صفر/ ١٤٢٨هـ

٢٦/٢/٢٠٠٨م

فهرس المحتويات